أعمال القلوب

في

مجالس رمضان

قرأ هذا الكتاب على

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

حفظه الله ونفع بعلمه

بقلم

عبد اللّٰه العنزي

ح عبد الله العنزي، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العنزي، عبد الله

أعمال القلوب في مجالس رمضان"./ عبد الله العنزي.- الرياض، ١٤٤٢هـ

١٦٠ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩-٧٠٧١-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد ٢-الفضائل الإسلامية أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٤٢/٦٠٥٣

رقم الإيداع : ١٤٤٢/٦٠٥٣

ردمك: ٩-٧٠٧١-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن أعمال القلوب كالمحبة والخوف والرجاء والإخلاص والتضرع وغيرها؛ لها مكانة عالية ومنزلة رفيعة؛ ومن ذلك:

١- أن أعمال القلوب من الإيمان؛ إذ الإيمان له ظاهر؛ وهو أعمال الجوارح، وباطن؛ وهو أعمال القلوب.

٢- أن أعمال القلوب هي روحُ العبودية ولبُّها.

٣- أن أعمال القلوب هي أصل الإسلام؛ الذي هو الاستسلام لله وحده.

٤- أن أعمال القلوب هي أصل التقوى؛ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ويقول الرسول ﷺ: **(التَّقْوَى هَاهُنَا)**، ويشير إلى صدره ثلاث مرات[(١)].

ولما كان شهر الصيام المقصود منه التقوى، كما قال -تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، كان تعلُّمُ أعمالِ القلوبِ، وتَذَاكُرُها وتَدَارُسَها، والقيامُ بها في هذا الشهر المبارك هو نورٌ على نور.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

ولهذا جاءت هذه الرسالة؛ «**أعمال القلوب في مجالس رمضان**»؛ تذكيرًا لنفسي وإخوتي، وتعاونًا بيننا على البر والتقوى.

وقد يسر الله -جل ثناؤه- لي أن أقرأ هذا الكتاب على شيخي الفاضل عبد الرحمن بن ناصر البراك -حفظه الله ونفع بعلمه- فكان يرشدني إن رأى مني خطأ، كما كان يوجهني أحيانًا بزيادة أو حذف، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الأول
أهمية أعمال القلوب في حياة المسلم «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد خلق الله -جل وعلا- الخلق لغاية عظمى؛ وهي عبادته وحده لا شريك له، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦].

(الْعِبَادَةُ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ -تَعَالَى- وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ).

ومن هذا التعريف الجامع لأنواع العبادة، يتبين أن العبادة تنقسم إلى قسمين:

١- أقوال وأعمال ظاهرة؛ وتسمى (أعمال الجوارح).

٢- أقوال وأعمال باطنة؛ وتسمى (أعمال القلوب).

ولبيان أهمية أعمال القلوب في حياة المسلم عمومًا وفي شهر رمضان خصوصًا؛ لا بد لها من مقدمة يسيرة ألا وهي:

إن فئامًا من المسلمين يظنون أن أعمال القلوب؛ كالمحبة والخوف والرجاء والإخلاص والصدق والتسليم والخشوع وغيرها من أعمال القلوب هي من الأعمال الفاضلة المستحبة التي إن قام بها المسلم فله أجر ومثوبة، وإن لم يقم بها، أو قصر فيها فلا شيء عليه.

فالأجر الكامل -في ظنهم- المترتب على أي عبادة هو خاص بأعمال الجوارح، فمتى ما قام بها العبد ظاهرًا فقد أدى الواجب وأخذ الأجر كاملًا، أما أعمال القلوب المتصلة بتلك العبادة فإن أتى بها فله أجر، وإن لم يأتِ بها فلا شيء عليه، وهذا الأمر في الحقيقة غير صحيح.

ذلك أن كل عبادة من العبادات لها جانبان: جانب ظاهر؛ وهو أعمال الجوارح، وجانب باطن؛ وهو أعمال القلوب، وكلاهما داخل في تلك العبادة، كما أنهما سبب في الأجر.

فالتقصير والإخلال بأحدهما تقصير وإخلال في العبادة نفسها، بل إن التقصير في أعمال القلوب قد ينقص الأجر أعظم من التقصير في أعمال الجوارح؛ ذلك أن أعمال القلوب هي الأصل والأساس، وواجباتها أشد وجوبًا من واجبات أعمال الجوارح.

وبعد هذه المقدمة اليسيرة، أشرع مستعينًا بالله تعالى في بيان أهمية أعمال القلوب في حياة المسلم عمومًا، ومن ثم أُعَرِّجُ بعد ذلك على أهميتها في شهر رمضان المبارك خصوصًا؛ فمن ذلك:

١- أن العبد يوم القيامة محاسب ومجازى على أعمال قلبه، كما هو محاسب ومجازى على أعمال جوارحه، قال تعالى: ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [العاديات: ٩- ١٠]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطارق: ٩].

٢- العبادات القلبية هي الأصل، والعبادات البدنية تبع ومكملة؛ إذ إن العبادات القلبية روح العبادات البدنية، ولهذا فهي آكد منها، ولكن هذا المعنى لا يقتضي التقليل من شأن العبادات البدنية، فمن

العبادات البدنية ما تَرْكُها كفرٌ؛ كالصلاة مثلًا، ومنها ما لا يكون صلاح الأمة وحفظ بيضتها إلا به؛ كالجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وغيرها.

٣- أن تفاضل أعمال العباد عند الله -جل وعلا- بتفاضل ما في قلوبهم من أعمال القلوب.

٤- أن القلب وما فيه من أعمال هو محل نظر الرب -تبارك وتعالى- قال ﷺ: **(إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)**[1]، فتأمل كيف ذَكَرَ أولًا القلب وما فيه من عبوديات، ثم ذكر أعمال الجوارح.

٥- أنه بصلاح القلب تصلح الجوارح، وبفساده تفسد الجوارح؛ فهي تبع له، قال ﷺ: **(أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ)**[2].

٦- أن لذة العبادة، والطمأنينة فيها، والأنس بها، لا تكون إلا بتحقيق أعمال القلوب أثناء القيام بتلك العبادة، فمن أراد لذة العبادة وقرة العين، وراحة النفس، وانشراح الصدر، فليسعَ سعي السابقين بالخيرات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

المجلس الثاني
أهمية أعمال القلوب في حياة المسلم «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

وبعد ذكر أهمية أعمال القلوب في حياة المسلم على وجه العموم، أذكر -بعون الله تعالى- أهمية أعمال القلوب في شهر رمضان المبارك؛ فمن ذلك:

١- أن صدق التعبد لله -تعالى- بأعمال القلوب في شهر رمضان يعين العبد -بتوفيق الله- على عدة أمور؛ منها:

أ- يُعينُ العَبْدَ عَلى أَدَاءِ الْصِيَام على أكمل وجه، كما قال ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1].

فقوله ﷺ: (**من صام رمضان**) هذه أعمال الجوارح.

وقوله -عليه الصلاة والسلام: (**إيمانًا واحتسابًا**) هذه أعمال القلوب.

وثواب ذلك: (**غفر له ما تقدم من ذنبه**).

ولا يكون الغفران إلا مع كمال الظاهر والباطن أو ما يقاربه.

ب- يُعينُ العَبْدَ على الحرص والإقبال على العبادات؛ كالصلاة فرضًا ونفلًا، وعلى القرآن تلاوة وتدبرًا، وعلى الصدقة إنفاقًا وبذلًا، وعلى العمرة طوافًا وسعيًا وغيرها من العبادات.

فالعبادات الباطنة -بتوفيق الله- عونٌ على العبادات الظاهرة.

---

(١) رواه البخاري (٢٠١٤) ومسلم (٧٦٠).

ج- يُعينُ العَبْدَ على اجتناب كل ما يُنقص أجر صيامه من ذنوب ومعاصٍ، أو ما يكدر صفو عبادته أو ما يشغله عنها.

والإقبال على العبادات -خاصة الواجبة- واجتناب ما ينقص الصيام من ذنوب ومعاصٍ هو في الحقيقة من كمال الصيام.

٢- أن صدق التعبد لله تعالى بأعمال القلوب في شهر رمضان يشعر العبد بحلاوة الإيمان والأنس والفرح والسكينة والطمأنينة.

ولا شك أن الناس متفاوتون في ذلك، فبقدر تحقيقهم لأعمال القلوب تكون لذة الإيمان والأنس والفرح والسكينة والطمأنينة في قلوبهم.

أن صدق التعبد لله تعالى بأعمال القلوب في شهر رمضان سبيل -بعون الله وتوفيقه- إلى الاستقامة على الصراط المستقيم بعد انقضاء شهر رمضان.

فإن العبد إن كان مُفَرِّطًا قبل رمضان تَدَارَكَ تَفْرِيطَهُ، وإن كان مقصرًا أَتَمَّ نُقْصَانَهُ، وإن كان على خير ازداد من أبواب الخير وثبت عليها.

- ❖ فَحَرِيٌّ بمن عاش مع القرآن ترتيلًا وسماعًا وتدبرًا وخشوعًا.
- ❖ ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا.
- ❖ ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا.
- ❖ ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا.
- ❖ ومن تخرج من مدرسة الصيام التي عنوانها "الصبر".
- ❖ ومن نال جائزتي الصيام في الدنيا:

الأولى: التقوى في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

الثانية: [غفر الله ما تقدم من ذنبه].

حَرِيٌّ بمن هذه حاله أن يستقيم على الصراط المستقيم إلى أن يلقى ربه جل وعلا.

وليحذر أن يكون ممن يمرُّ عليهم شهر رمضان سنين عددًا، ولم يغيروا من أحوالهم شيئًا، ولم يتداركوا نقصهم وتَفْرِيطَهُم، نسأل الله لنا جميعًا الهداية والاستقامة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الثالث

التأهب والتهيؤ لشهر رمضان المبارك «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن التأهب والتهيؤ قبل العبادات أمر مطلوب شرعًا؛ سواء كان حِسِّيًا؛ كالوضوء للصلاة والسحور للصيام والإحرام للحج والعمرة وغيرها، أو كان مَعْنَوِيًّا؛ ككثرة الذكر والاستغفار والتوبة واستحضار النية والإخلاص وغيرها.

ولقد كان هذا التأهب والتهيؤ دأب أولياء الله المتقين، بل صفوته المخلصين؛ ومن الأمثلة على ذلك:

١- لما كان لإبراهيم -عليه الصلاة والسلام- عند الله منزلة عالية، وهي منزلة الخُلة، التي لا يشاركه فيها أحد إلا نبينا محمد ﷺ اختبره -جل وعلا- وابتلاه ببلاء مبين، الذي تبين به صفاء إبراهيم، وكمال محبته لربه، وخلته؛ فإن إسماعيل -عليه السلام- لما وهبه الله لإبراهيم، أحبه حبًّا شديدًا، فأمره بذبح ابنه بيده، فلما قَدَّمَ حُبَّ الله، وآثَرَهُ على هواه، وعَزَمَ على ذَبْحِهِ، بقي الذبحُ لا فائدةَ فيه، فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٦-١٠٧][1].

(١) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص(٧٠٦) طبعة دار الرسالة، بتصرف يسير.

فمن أراد أن يُنزلَه اللهُ -جل جلاله- منازلَ المحبين في هذا الشهر المبارك، فعليه أن يُهَيِئَ قلبه بِذَبْحِ ما فيه:

أ- مِنْ هوىً أو شهوةٍ أو شبهةٍ تَحولُ بينه وبين محبة ربه -جل وعلا.

ب- أو ما فيه مِنْ محبةٍ -وإن كانت مباحةً- تُزاحمُ محبةَ اللهِ -جل جلاله- أو محبةَ رسولهِ ﷺ.

٢- عندما أراد الله -سبحانه وتعالى- أن يُنَزِّلَ على موسى -عليه السلام- التوراة بعد إهلاك فرعون وقومه، وقَّتَ له ثلاثين ليلة ثم أَتَمَّهَا - جل جلاله- بعشر، قال تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، فصام موسى -عليه الصلاة والسلام- تلك الأيام وكان يتعبد لله فيها[1]، تَهَيُّؤًا لِوَعدِ الله.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (فَصَارَتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ؛ لِيَسْتَعِدَّ مُوسَى وَيَتَهَيَّأَ لِوَعْدِ اللهِ)[2].

فمن أراد أن يتلذذ بمناجاة ربه -جل وعلا- صلاة وذكرًا، تلاوة ودعاءً في هذا الشهر الكريم؛ فعليه أن يُهيئ قلبه بأن يُصوِّمَه، وكذا لسانه وجوارحه عما يغضب ربه -جل ثناؤه.

حينها لا تسأل عن لذة المناجاة التي تغمر قلبه، وتُطمئن روحه، وتُسكِّن نفسه؛ نسأل الله من فضله العظيم.

---

(١) انظر: (معالم التنزيل) للبغوي (١٤٦/٢)، و(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (٥٧٢/٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان لعبد الرحمن ناصر السعدي ص (٧٠٢) طبعة مؤسسة الرسالة.

٣- لقد شُقَّ صَدْرُ النبيِّ ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وغسله جبريل -عليه السلام- بماء زمزم، وجاء بِطِسْتٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وإيمانًا فأفرغه في صدره[١].

قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: ثُمَّ وَقَعَ شَقُّ الصَّدْرِ عِنْدَ إِرادَةِ اَلْعُروجِ إِلَى السَّماءِ لِيَتَأَهَّبَ لِلْمُنَاجَاةِ)[٢].

فمن أراد أن تَعْرُجَ رُوْحَهُ إلى الملكوت الأعلى؛ لِيَرَى بِعِيْنِي قَلْبِهِ من آيات ربه الكبرى، فليهيئ قلبه بغسله بماء التوبة، وليملأه بالمعاني الإيمانية والفتوحات الربانية؛ وذلك بالمسارعة بتقوية إيمانه، واستجلاب واستمطار نفحات ربه -جل وعلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى:

(فَاَلْداعي والسّاجِدُ يوَجِّهُ روحَهُ إِلَى اللهَّ - تَعَالَى - والرُّوحُ لَهَا عُروجٌ يُنَاسِبُهَا ، فَتَقْرُّبُ إِلَى الله بِلَا رَيْبٍ بِحَسْبِ تَخَلُّصِها مِنَ الشَّوائِبِ، فَيَكُونُ اللهُ مِنْهَا قَرِيبًا قُرْبًا يَلْزَمُ مِنْ تَقْرَبِهَا)[٣].

ومصداق ذلك في كتاب الله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

وقال ﷺ: « **أَقْرَبُ مَا يَكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ** »[٤].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٣، ١٦٤).

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٠٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤١).

(٤) رواه مسلم (٤٨٢).

المجلس الرابع
التأهب والتهيؤ لشهر رمضان المبارك «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

التأهب والتهيؤ لشهر رمضان يكون على **مرحلتين**:

المرحلة الأولى: التأهب والتهيؤ قبل شهر رمضان؛ لِيَكُونَ القلبُ مستعدًّا لاستقبال هذا الشهر المبارك، ليُعْطَى العَبدُ -بفضل الله- ثِمَارَهُ، وينالَ جَائِزَتَهُ.

ويكون هذا التأهب والتهيؤ بأمور؛ منها:

١- التوبة الصادقة بشروطها من الذنوب والمعاصي؛ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا، ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا، مع كثرة الذكر والاستغفار.

٢- تطهير القلب واستفراغه من الشهوات والشبهات؛ لأنها تجذب القلب إليها وتشغله عن الطاعات والمسارعة إليها، وتُكَدِّرُ عليه صَفْوَ قَلْبِهِ.

٣- استشعار فضل الصيام، وفضل هذا الشهر المبارك لِيَقْوَى رَجَاؤُهُ، وَيَنْشَطَ قَلْبُهُ وَبَدَنُهُ على القيام بالعبادات على أكمل وجه.

٤- القراءة في الكتب التي تُعنى بأحكام الصيام؛ لئلا يقع في ما يفسد صومه أو يقلل أجره.

كما يقرأ في الكتب التي تُعنى بأعمال القلوب خاصة ما يتعلق بالعبادات التي يكثر القيام بها في رمضان؛ كالخشوع في الصلاة، والتضرع في الدعاء، والإخلاص، وغيرها.

المرحلة الثانية: التأهبُ والتهيؤُ أثناء رمضان؛ لِيَبْقَى القلب حاضرًا مقبلًا متوقدًا والبدن قويًّا نشيطًا، فَيَتَوَافَقُ القلبُ والبدنُ في المسارعة إلى الطاعات؛ فلا يَعْتَرِيهِ فُتُورٌ وَلَا مَلَلٌ، وَلَا يَتَمَلَّكُه عَجْزٌ وَلَا كَسَلٌ.

ويكون هذا التأهب والتهيؤ بأمور؛ منها:

١- أن يكون العبد على تهيؤ مستمر، وتأهب دائم، فكلما رأى من قلبه انصرافًا وفتورًا، أو من بدنه كسلًا وخمولًا؛ شَحَذَهُ وَجَدَدَهُ بكثرة الذكر والاستغفار والدعاء.

٢- أن يكون العبد مجتهدًا في عدة أمور؛ منها:

أ. حفظ قلبه عن الخواطر والشواغل كبرامج التواصل الاجتماعي، وبرامج الهواتف الذكية، كذلك اللقاءات الاجتماعية التي تشغل العبد عما هو خير له في هذا الشهر المبارك.

ب. حفظ قلبه وبصره عن مشاهدة القنوات الفضائية: لما فيها من ندوات ومحاضرات مثيرة للشبه، ومن أفلام هابطة ومسلسلات ماجنة مثيرة للشهوات، فما والله أولئك إلا (سُرَّاقُ القُلوب).

ج. حفظ جوارحه من اقتراف الذنوب والمعاصي الظاهرة والباطنة.

وهذا التأهب والتهيؤ لعله أن يكون بإذن الله عونًا للعبد على القيام بالعبادات كما ينبغي في هذا الشهر المبارك، وأن لا يكونَ حالهُ كَحَالِ فِئَام من الناس في أول الشهر حاضر القلب نشيط النفس والبدن، لَكن مَا يَلْبَثُ أَنْ يَعْتَرِيَهُ الْفُتُورُ، وتستحكم عَلَيْهِ الشَّوَاغِلُ وَالصَّوَارِفُ، فَيَرْجِعُ إِلَى سَابِقِ أَمْرُهُ قَبْلَ رَمَضَانَ.

والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الخامس
التوبة «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد تخلف كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه عن غزوة تبوك، وكانت نفسه تراوده باللحاق بالنبي ﷺ وصحبه الكرام، ولكنه تأخر حتى عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة.

فندم على ذلك ندمًا شديدًا، فعزم على أن يظهر توبته بين يدي رسول الله ﷺ، وأن لا يفعل كما فعل المنافقون.

فدعونا نسمع منه ما دار بينه وبين الرسول ﷺ، فيما رواه البخاري ومسلم[1] فقال رضي الله عنه: (حَتَّى جئتُ، فَلَمَّا سلمتُ تَبَسَّم تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: **"تعال"**، قال: فجئت أمشي حتى جَلَسْتُ بين يديه، فقال لي: **" مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟"** فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أَخرج من سخطه بعذر ولقد أُعطِيتُ جدلًا، ولكني والله لقد علمتُ إن حَدَثْتُكَ اليوم حَدِيْثَ كَذِبٍ ترضى به عليَّ، ليُوشِكَنَّ الله أن يُسخطك عليَّ؛ ولئن حدثتك حديثَ صِدقٍ تَجْدُ علي

(١) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

فيه إني لأرجو فيه عفوَ الله، لا والله ما كان لي من عذرٍ، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: **" أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُم حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فيك"** ، **فَقُمْت**).

هُنَا بَدَأَ الْبَلَاءُ، وَبَدَأَت العَقَبَاتُ الكؤود الَّتِي كَادَتْ تفتُّ فِي عَضُدِهِ ، وَتَحَوَّل بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَنَالَ وِسَامَ شَرَفِ التَّوْبَةِ ، لَكِن صِدْقَ تَوْبَتِهِ وَالثَّبَاتُ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْفِيقِ الله كَانَتْ كَأَجَاوِدِ الْخَيْلِ الَّتِي لَا تَكْبُو ، كُلَّمَا اِعْتَرَضَتْه عَقَبَةٌ اِقْتَحَمَهَا اقْتِحَامَ الْأَبْطَالِ.

فلما اكتملت خمسون ليلة أنزل الله -جل وعلا- توبتهم **قال -تعالى:** ﴿**وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُواْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١١٨].

قال كعب رضي الله عنه: (فلما سَلَمْتُّ على رسول الله ﷺ قال وهو يَبرُق وجهه من السرور: « **أَبْشِر بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ** ».

إن التوبة إلى الله -جلا جلاله- من أفضل أعمال القلوب وأجلها وأعظمها والتوبة هي في الحقيقة توبة القلب، ومن ثم توبة الجوارح.

والتوبة التي أمرنا بها، لا تنحصر في معنًى واحدٍ، بل تشمل عدة معان؛ منها:

أ. التوبة من المعاصي والذنوب كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا ، ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا.

ب. التوبة من التقصير في الطاعات وعدم القيام بها كما ينبغي، ولذا يُشرع للمؤمن الاستغفار بعد الصلوات المكتوبة، وبعد قيام الليل في الأسحار، وفي نهاية الحج.

ج. التوبة من التقصير في شكر الله -جل وعلا- على نعمه الدينية والدنيوية الظاهرة والباطنة، **قال تعالى:** ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

ومما يبين مكانة التوبة ومنزلتها عدة أمور؛ منها:

١- فرح الله -جل جلاله- بتوبة عبده، وهو فرح يليق بجلاله وعظمته، بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل ولا تكييف.

والله -جل جلاله- لا يفرح إلا لأمر جليل عظيم.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ؛ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا؛ فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**»[(١)].

٢- محبة الله -جل جلاله- للتائبين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

قال ابن القيم رحمه الله : (فَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ اللهُ، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ أَنْ يُحِبَّكَ اللهُ)[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧)، واللفظ له.

(٢) روضة المحبين ص (٣٧٤) طبعة دار عالم الفوائد.

فَإِذَا أَحَبَّ اللهُ -جل جلاله- عَبْدَهُ فَلَا تَسَلْ عَنِ الرَّحَمَاتِ الَّتِي تَنْزِلُ عَلَيْهِ، وَالْبَرَكَاتِ الَّتِي تَعُمُّهُ، والمَسَرَاتِ وَالْطُّمَأْنِينَةِ الَّتِي تَغْمُرُهُ ، وَالنَّصْرَ وَالتَّأْيِيدِ وَالْحِفْظِ الَّذِي يَكْتَنِفُهُ ..

قال الله -تبارك وتعالى- في الحديث القدسي: [**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ اَلَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ اَلَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ اَلَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ اَلَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأُعْطِينَهِ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهْ**][1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

المجلس السادس
التوبة «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

وإتمامًا لما سبق في بيان مكانة التوبة ومنزلتها:

٣- أن التوبة غاية كمال المؤمن.

يقول ابن القيم -رحمه الله- عن قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة: ١١٧].

(هَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَعْرِفُ العَبْدُ قَدْرَ التَّوْبَةِ وَفَضْلِها عِنْدَ اللهَّ ، وَأَنَّهَا غايَةُ كَمالِ المُؤْمِنِ ، فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْطَاهم هَذَا الكَمالَ بَعْدَ آخَرِ الغَزَوَاتِ ، بَعْدَ أَنْ قَضَوْا نَحْبَهُمْ ، وَبَذَلُوا نُفوسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَديارَهُمْ لله، وَكَانَ غايَةُ أَمَرِهِمْ أَنْ تَابَ عَلَيْهِمْ ، وَلِهَذَا جَعَلَ النَّبيُّ ص يَوْمَ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مالِكٍ خَيْرَ يَوْمٍ مُرَّ عَلَيْهُ مُنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ إِلَى ذَلِكَ اليَوْمِ ، وَلَا يُعْرَفُ هَذَا حَقُّ مَعْرِفَتِهِ إِلَّا مِنْ عَرَفَ اللهَّ وَعَرِفَ حُقوقَهُ عَلَيْهُ، وَعَرَفَ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ عُبوديَّتِهِ ، وَعَرِفَ نَفْسَهُ وَصِفاتِها وَأَفْعالَها ، وَأَنَّ الَّذِي قَامَ بِهِ مِنْ العُبوديَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَقِّ رَبِّهِ عَلَيْهُ كَقَطْرَةٍ فِي بَحْرٍ)[1].

(١) زاد المعاد (٣/ ٧٤٤) طبعة دار عالم الفوائد.

٤- إِنَ تَوْبَةَ الْعَبْدِ وَتَوْبَةَ اللهِ عَلَيْهِ هِيَ خَيْرُ أَيَّامِ الْعَبْدُ وَأَفْضَلِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ.

قَوْلِه ﷺ: **"أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمِكَ"**.

٥- أن التوبة النصوح سبيل إلى الفلاح وتكفير السيئات والفوز بالجنات.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ [التحريم: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

٦- أن التوبة سَبَبٌ في محو الذنوب والمعاصي التي تُثْقِلُ كَاهِلَ العَبْدِ وتُحْجِبُ قَلْبَهُ عنِ الله ﷻ، وعن اللذة والطمأنينة في طاعته وعن الفرح والسرور بقربه؛ وتُكَبِّلُ قَلْبَهُ وجَوَارِحَهُ عن المُسَارَعَةِ في مَرْضَاتِهِ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نكتةٌ سَوْدَاء ، فَإِذَا هُوَ نَزَع وَاسْتَغْفَر سُقِلَ قَلْبَهُ ، وَإِنْ عَادَ زِيْدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ "**، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] قال الترمذي: هذا حديث صحيح[1].

٧- أن التوبة سبب بإذن الله في دفع البلايا والكوارث والمصائب والحروب والكروب وانتشار الأمراض والأوبئة وغلاء الأسعار

(١) أخرجه أحمد (٧٩٥٢)، والترمذي (٣٣٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٣٣٣٤).

وغيرها قبل وقوعها، ورفعها بعد وقوعها، سواءً على مستوى الأفراد، أو المجتمعات.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى:

(فَعِنْدَمَا جأروا إِلَى اللهَّ واستغاثوا به وتضرعوا لَه واستكانوا ؛ وَأَحْضَرُوا أَطْفَالَهُم وَدَوَابَّهُم وَمَوَاشِيَهُم وَسَأَلُوا اللهَ -تعالى- أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ الَّذِي أَنْذَرَهُم بِهِ نَبِيُّهُمْ ، فَعِنْدَهَا رَحِمَهُمُ اللهُّ وَكَشَف عَنْهُمُ الْعَذَابَ وَأُخِّرُوا)[1].

وفي نهاية هذا الموضوع المهم **تجدر الإشارة إلى شروط التوبة:**

١- ما كان في حق الله -جل وعلا:

- ❖ الإقلاع عن الذنب.
- ❖ الندم على فعله.
- ❖ العزم على عدم العودة إليه.

٢- ما كان في حق الآدميين:

أَنْ يَرُدَّ المَظَالِمَ إلى أَهْلِهَا، إن كان لأحد عليه مظلمةٌ من مالٍ أو عرضٍ أو غيبةٍ أو بهتانٍ أو نميمةٍ أو غيرها.

عن أَبي هُرَيْرَة، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانتْ عِنْدَه مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيتَحَلَّلْه مِنْه الْيَوْمَ قَبْلَ أَلَّا يكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ**

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٩) طبعة دار مكتبة الهلال.

كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمتِهِ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سيِّئَاتِ صاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[1].

٣- أن تكون التوبَةُ في وقْتِ المُهْلَةِ؛ وذلك بأن تكون:

- ❖ قبل غرغرة الموت.
- ❖ قبل طلوع الشمس من مغربها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩).

المجلس السابع
الإخلاص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

(عن زُرَارةَ بن أوفى، عن أسير بن جابر، قال: كان عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أَمْدادُ اليمنِ سألهم، أفيكم أُوَيْسُ بن عامرٍ؟ حتى أتى عليه أُوَيْسُ، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: مِنْ مُرادٍ ثم قرن؟ قال: نعم، قال: كان بك بَرَصٌ، فَبرأْتَ منه إلا مَوْضعَ درهم، قال: نعم، قال: ألك والدة؟ قال: نعم، قال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْس بْنِ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَاد الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْه ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَم ، لَهُ وَالِدُهُ هُوَ بِهَا بارٌ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهَّ لَأَبَرَّهُ ، فَإِنْ اسْتَطَعْت أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَك فَافْعَلْ** " قال: فاستغفر لي، فاسْتغَفرَ له.

فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أَحبُّ إليَّ.

فلما كان في العام المقبل حج رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، قال: تركته رَثَّ البيتِ، قليلَ المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْس بْنِ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَاد أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدُهُ هُوَ بِهَا بَارٌ، لَوْ أَقْسَمَ**

عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ» فأتى أويسًا فقال: استغفِرْ لي، قالَ: أنت أحدثُ عهدًا بسفرٍ صالحٍ، فاسْتَغفَرَ لي، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم، قال: فاستغفر له، ففطن له الناس فانطلق على وجهه»[(١)].

إن الإخلاص لله -جل وعلا- من أهم وأجل أعمال القلوب، بل يُعدُّ عُمْدةُ أعمالِ القلوبِ، وأساسُ صلاحِ السريرةِ؛ حيث إنَّ جُلَّ الأعمال القلبية المحبوبة لله ﷻ تعود إلى صفة الإخلاص[(٢)].

(الإخلاص: هو إفراد الحق -سبحانه- بالقصد بالطاعة.

ويتبين أهمية الإخلاص في عدة أمور؛ منها:

أ. أن الإخلاص لله -جل وعلا- ومتابعة النبي ﷺ هما شرطا قبولِ الأعمالِ، فإذا أخل العبد بأحد هذين الشرطين لم يُقْبَلْ العملُ.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض عن معنى قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾:
هو أَخْلصُه وأَصْوبُه، قالوا: يا أبا علي، ما أَخْلصُه وأَصْوبُه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يُقْبَلْ، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا؛ والخالصُ: أن يكونَ لله.

والصواب: أن يكونَ على السنةِ، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][(٣)].

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٤٢).

(٢) انظر: (يوم تبلى السرائر) للشيخ عبد العزيز الجليل ص (٦٢).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣١٠).

ب. أن تفاضل أعمال العباد عند الله -جل وعلا- والثوابَ عليها يكونُ على قدرِ الإخلاصِ وتحقيقهِ في الأعمالِ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى: (فَإِنَّ الْأَعْمَالُ تَتَفَاضَلُ بتَفاضُلِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاص ، وَإِن الرِّجْلَيْن لَيَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ واحدًا ، وَبَيْن صلاتيهما كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)[1].

ج. أن الإخلاص يُضَاعِفُ أجرَ الأعمالِ وإن كانت صغيرةٌ: قال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- عن هذه الآية: (أَيْ عَشْرَةُ أَمْثَالِهَا ، إِلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، بِحَسَبِ حَالِهَا ونفعِها، وَحَالِ صَاحِبِهَا إخلاصًا وَمَحَبَّةً وكمالًا)[2].

د. أن الإخلاص يحمي القلبَ من داء الشهوات والشبهات، كما أنه هو الدواء الناجح -بإذن الله تعالى- لمن ابتلي بها.

يدل على هذا المعنى قوله -تعالى- عن يوسف -عليه الصلاة والسلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

فمن أراد أن يَحْمِيَ اللهُ قلبَهُ ويُدَاويَه من فتن الشهواتِ والشبهاتِ؛ خاصة في هذا العصر الذي ابتلينا فيه بانتشار الشهوات، وروجان سوق الشبهات، فعليه بالإخلاص لله -جل وعلا.

---

(١) منهاج السنة (٦/٢٢١- ٢٢٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (١٧٩) طبعة مؤسسة الرسالة.

هـ. أن الإخلاص إذا تحقق في عمل وإن كان صغيرًا أو يسيرًا فإنه يكون سببًا -بإذن الله- لتكفير الكبائر، وسببًا -كذلك- لدخول الجنة.

وقد ذكر ابنُ تيمية -رحمه الله تعالى- حديثَ البَغِيَّ التي سَقَتْ كلبًا فغفر الله لها، والرجل الذي أماط الأذى عن الطريق فغفر الله له ثم قال: (فَهَذِه سَقَتْ الْكَلْبَ بِإِيمَان خَالِصٌ كَانَ فِي قَلْبِهَا فَغَفَر لَهَا، وَإِلَّا فَلَيْسَ كُلُّ بَغْيٍّ سَقَت كلبًا يُغْفَرُ لَهَا، وَكَذَلِكَ هَذَا الَّذِي نَحَّى غُصْنَ الشَّوْك عَنْ الطَّرِيقِ، فِعْلُهُ إذْ ذَاكَ بِإِيمَان خَالِصٌ، وَإِخْلَاص قَائِمٌ بِقَلْبِه ، فغُفر لَهُ بِذَلِكَ)[1].

وفي مقابل هؤلاء يُؤتى يوم القيامة بأناس جاؤوا بأعمال كأمثال الجبال؛ فهذا عالمٌ وحافظٌ للقرآن، وآخرُ أنفق ماله، وآخرُ قُتِلَ في سبيل الله، ولكن لما خَلَتْ أعمالُهم من الإخلاصِ وكانت لغير وجهه -جل وعلا، رياءً وسمعةً وحبًّا للظهور- كان أصحابُها -نسأل الله العافية- أولَ من تُسَعَّرُ بهم النار[2].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٢١).

(٢) أصله حديث رواه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٣).

المجلس الثامن

الصدق مع الله جل جلاله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

نظرتُ فيمن حضر بدرًا، ومَنْ قاتل في أحد، ومَنْ رابط في الخندق، ومَنْ بَايَعَ تحت الشجرةِ، ومَنْ شارك في فتح مكة، فلم أجد اسمي ولا أسماءكم.

فأسأل الله الحي القيوم الذي لا إله إلا هو، الذي لم يكتبنا من أهل هذه المواطن العظيمة لحكمة يعلمها، أن يَرْحمَ ضَعْفنَا وأن يَجْبرَ كَسْرنَا وأن يُنْعِمَ علينا بأن يَكْتبَنا عنده من الصديقين؛ قولوا: آمين.

وأن يعيننا على تحقيق هذا الحديثِ العظيم الذي قال فيه النبي ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ؛ فإنَّ الصِّدْقِ يَهْدِي إلَى البِرِّ، وإنَّ البرَّ يَهْدِي إلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرجلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصدقَ حَتَّى يُكتبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا**»[1]. وأن يعيذني وإياكم من الكذب؛ فقد قال ﷺ في الحديثَ نفسه: « **وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كذابًا** ».

ذلك أن منزلة الصديقية هي المنزلة التي تتلو منزلة النبوة.

قال تعالى:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء: ٦٩].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

والصدق في الحديث المذكور آنفًا يشمل الصدقَ في الأقوالِ والأفعالِ والأحوالِ التي هي أعمالُ القلوبِ.

والصِّدق مع الله من أَجَلِّ أعمالِ القلوبِ، وهو رُوحُ الأعمالِ، ومَحَكُّ الأحوالِ، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان.

وما صَدَقَ أحدٌ اللهَّ في أقوالِهِ وأفعالِهِ وأحوالِهِ إلا صَدَقَهُ اللهُّ، فما يزال يمده بنعمه وألطافه ويزيده إحسانًا وتوفيقًا، وله مزيّة المعية مع الله، فإن الله مع الصادقين، ولهم منزلة القرب منه؛ إذ دَرَجتُهم منه ثاني درجة النبيين[1].

وسأضرب أربعة أمثلة؛ كُلُّ مثالين متشابهين، ولكنَّ بين منزلة المتشابهين عند الله بونًا شاسعًا؛ حيث إن أحدَهم من أُولي العزمِ من الرسل، والآخر إما صحابي أو تابعي، لكن جَمعَهُم الصِّدقُ مع اللهِ.

المثالين الأولين المتشابهان:

١- لما كسَّر خليلُ الرحمن إبراهيمُ -عليه الصلاة والسلام- الأصنامَ، أراد قومه أن ينصروا آلهتهم بأن يحرقوه في النار، فأضرموا له نارًا عظيمة، وربطوه ووضعوه في المنجنيق، ولما رموه بها لِيَقَعَ في النار، قال عليه الصلاة والسلام: (حَسْبُنَا اللهُّ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)، حينها قال اللهُّ جل وعلا: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[الأنبياء: ٦٩].

صَدَقَ اللهَّ في دعائهِ وتوكلهِ ولجوئه إليه، فصَدقَه اللهُّ بالإجابة حيث كفاه وحفظه وتولى أمره، فَنعم المولى ونعم النصير.

(١) مدارج السالكين (٦/٣) بتصرف يسير.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ("حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " قالها إبراهيمُ -عليه السلام- حين أُلْقِيَ في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[1] [آل عمران: ١٧٣].

٢- لما ادعى النُّبوةَ الأسودُ العنسي في اليمن دعا أبا مسلم الخولاني إلى أن يشهد أنه رسول الله، فقال: أتشهد أني رسول الله؟ فقال أبو مسلم الخولاني: لا أسمع، أشهد أن محمدًا رسول الله، فأَجَّجَ له نارًا، وألقاه فيها، فلم تَضُرَّه، وأنجاه الله من النار، فكان يُشبَّه بإبراهيم الخليل، ثم هاجر فوجد رسول الله ﷺ قد مات، فقدم على الصِّدِّيق، فأجلسه بينه وبين عمر، وقال له عمرُ: الحمد لله الذي لم يُمتنِي حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فُعل به كما فُعل بإبراهيمَ الخليل، وقبَّله بين عينيه[2].

المثالان الآخران المتشابهان:

١- لما خرج موسى -عليه الصلاة والسلام- بقومه من مِصْرَ، وتبعه فرعونُ وقومه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، قال موسى -عليه الصلاة والسلام- بقلب قد ملأه صِدْقُ التوكلِ على الله، وصِدْقُ اليقينِ بنصر الله، قال ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، حينها أمره الله ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

---

(١) رواه البخاري (٤٥٦٣).

(٢) انظر: (البداية والنهاية) لابن كثير (٤٦٦/١١) طبعة دار هجر.

صدق الله موسى -عليه السلام- في توكله، ويقينه، وحسن ظنه بربه فصدقه الله بأن أنجاه وقومه من الكرب العظيم.

٢- لما غزا العلاءُ بنُ الحضرمي رضي الله عنه دارين[١] وقف هو وجيشه أمام البحر، وقد حال بينهم وبين عدوهم الماءُ، ولم يجدوا سفنًا تحملهم.

قال سهم بن منجاب: (ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا دَارَيْن وَالْبَحْر بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، فَقَال : يَا عَلِيمُ يَا حَلِيمُ ، يَا عليُّ يَا عَظِيمُ ، أَنَا عَبِيدُك ، وَفِي سَبِيلِك ، نُقَاتِلُ عَدُوَّك ، اللَّهُمّ فَاجْعَل لَنَا إلَيْهِمْ سبيلًا فَدَخَلْنَا الْبَحْرِ فَلَمْ يَبْلُغْ الماءُ لُبودَنا)[٢].

ومشينا على متن الماء ولم يبتل منا شيء[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (مَا صَدَقَ اللهَ عبدٌ إلَّا صُنع لَه)[٤].

فما صدق أحدٌ اللهَّ في عبادته إلا وصله بنعمه وقرَّبه.

وما صدق أحدٌ الله في دعائه إلا أعطاه ما أمَّله.

وما صدق أحدٌ اللهَ في توبته إلا أقال عثرته وقَبِلَه.

وما صدق أحدٌ الله في التجائه إلا فرَّج كربتهَ ونَصرَه.

وما صدق أحدٌ الله في نيتَّه إلا أَجْزلَ له المثوبةَ وإن لم يستطع أن يَفعَلْه.

فالحمد لله رب العالمين، هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) دارين: جزيرة تقع على ضفاف الخليج العربي.

(٢) اللبود: جمع لبد، وهو ما يوضع تحت السرج، الوسيط (ل ب د).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣١١) طبعة دار هجر.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٠٩).

المجلس التاسع
حسن الظن بالله جل جلاله «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد قام رسول الله ﷺ بأعباء الدعوة إلى الله مدة ثلاث وعشرين سنة.

وقد حدث له فيها من البلاء والشدة ما الله به عليمٌ.

ورغم المواقف الشديدة المؤلمة التي مرت به إلا أني سأذكر موقفًا واحدًا، هو أشد موقف مَرَّ على النبي ﷺ خلال مسيرة دعوتهِ المباركةِ.

وسَندَعُ أمَّنا عائشةُ رضي الله عنها تروي لنا هذا الحدثَ العظيمَ؛ حيث إنها وجهت هذا السؤال لرسول الله ﷺ ، فقالت: [يَا رَسُولَ اللهَّ ، هَلْ أَتَى عَلَيْك يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قال: « **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِك مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمُ الْعَقَبَةِ**[(١)]**؛إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يالِيلَ بْنُ عَبْدِ كُلال، فَلَمْ يُجِبْنِي إلَى مَا أَرَدْتُّ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ** »[(٢)].

---

(١) يوم العقبة قيل: المراد جمرة العقبة التي بمنى، وقيل: مكان مخصوص بالطائف، ولعله الصواب؛ لقوله ﷺ: «إذ عرضت نفسي».

(٢) رواه البخاري (٣٢٣)، ومسلم (١٧٩٥).

فلماذا كان يومُ العقبةِ أشدُّ يومٍ مرَّ عليه ﷺ ؟!

لقد اجتمعت على رسول الله ﷺ عدة أمور؛ منها:

١- رَدُّ دعوتهِ ﷺ ، وعدم الإيمان به، وهذا الأمر شاقٌ على نفسه الزكية قال تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣].

٢- الأمر الثاني: لقد جعل الله مكة حرمًا آمنًا تأمن فيه الوحوشُ، ويرى الرجلُ قَاتِلَ أبيه ولا يهيجُه أو ينالُ منه؛ تعظيمًا لحرمة هذا البيت، لَكنْ كفارُ قريش حوَّلوا بِطاحَ هذا الحرمِ الآمنِ وشعابه إلى ساحات لتعذيب الصحابةِ والتنكيلِ بهم لمدة عشر سنين، فلم يرقبوا فيهم إلًّا ولا ذمة.

حينها علم الرسول ﷺ أن مكةَ ليست (أرض دعوة) فلا بد أن يبحثَ عن أرضٍ تحتضنُ دعوتِه، وتُؤوي أصحابَه.

فلما أراد الخروجَ ﷺ للطائف لعله يجدُ فيها بُغْيتَه، علم أصحابُه بذلك فاشرَأَبَّتْ قلوبَهم لأرض يعبدون الله فيها لا يشركون به شيئًا، ولا ينالُهم فيها عذابٌ ولا نصبٌ.

لكن هذه الآمال ما لبثت أن تبدَّدت كسرابٍ بقيعة على صيحات الكفر من سادات أهل الطائف ردًّا لدعوته ﷺ، وعلى رمي سفهائها وعبيدها الحجارة على رسول الله ﷺ حتى أَدْمَوا عقبيه الشريفين.

فرجع ﷺ إلى مكة يحمل هَمَّ دعوته؛ من ينصرها، وهمَّ أصحابه؛ من يؤويهم ويحميهم.

في هذا الموقف الشديد جاءه جبريل -عليه السلام- بالفرج العاجل والنصر المبين.

قال ﷺ: (...فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْت فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إنَّ اللَّهَ عز وجلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِك لَك ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْك ، وَقَدْ بُعِثَ إلَيْك مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شئتَ فِيهِم ، قَال: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّم عليَّ ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِك لَك، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّك إلَيْك لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِك، فَمَا شِئْت، إنْ شِئْت أَنْ أُطبق عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ)[1].

الله أكبر في لحظة واحدة ينتهي جبروت كفار قريش وعنادهم؛ لو أذن النبي ﷺ أن يُطبق عليهم الأخشبين.

ولكن النبي الكريم ﷺ الذي يحسن الظن بربه، لم يدخل اليأس ولا القنوط إلى قلبه، ولم يقطع الأمل في هداية قومه.

فها هو ذا ﷺ يضرب لنا أروع الأمثلة في حسن الظن بالله في أشد موقف مرَّ عليه في مسيرة دعوته كلها.

ها هو يقول ﷺ: **(بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا)**[2].

ولله الحمد كان الله عند ظن نبيه ﷺ به، فبعد عدة سنوات يكبِّر النبي ﷺ للصلاة ويكبر خلفه عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وعتبة ومعتب ابني أبي لهب وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص وأبو سفيان

(١) الأخشبان: هما جبلان بمكة، أبو قُبَيْس والذي يقابله وهو قُعَيْقِعَان.

(٢) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥)، واللفظ لمسلم.

وابنيه يزيد ومعاوية وغيرهم كثير ممن كان آباؤهم أئمة الكفر، وأصبح أبناؤهم أئمة في الإسلام.

فَتح اللهُ بهم قلوب العباد والبلاد.

فكان هؤلاء ومن آمن بدعوتهم، ومن أتى بعدهم إلى يوم القيامة، كلهم في صحيفة رسول الله ﷺ ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والله -جل وعلا- أكرم وأجلُّ، فلما أحسن النبي ﷺ الظن بربه، أعطاه أعظم مما أمله ورجاه.

فلما أَغْلقَت كفارُ قريشٍ وكفارُ أهل الطائف قلوبهم عن دعوته ﷺ ، فتح الله قلوبًا أخرى ما كان يعلمها، ألا وهي قلوبُ الجنِّ؛ إذ صلَّى النبي ﷺ في وادي نخلة، فصرف الله إليه نفرًا من الجن فاستمعوا لقراءته فآمنوا به.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢١].

والله -جل وعلا- أكرمُ وأجلُّ ولما أَغلقتْ قريشُ أبوابَ مكةَ أمام الرسول ﷺ فلم يدخلْها إلا في جوار المطعم بن عدي، فتح الله -جل ثناؤه- له أبواب السموات فعُرج ﷺ إلى السماء السابعة وما فوقها ورأى من آيات ربه الكبرى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس العاشر
حسن الظن بالله جل جلاله «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإحسانُ الظنِّ بالله من أَجَلِّ أعمالِ القلوبِ، وأعظمِها؛ حيث إن هذه العبادة القلبية أخذت عظمتها من عظمة منشئها، فهي تنشأ في قلب المؤمن من العلم بالله -جل وعلا- وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فكلما ازداد المؤمن من هذا العلم؛ كلما ازداد حُسْنُ ظنِّه بربه -جل وعلا- وكلما قلَّ حظُّه من هذا العلم، كلما ضَعُفَ حُسْنُ ظنه بربه حتى يصل إلى القنوط من رحمة الله واليأس من روحه -جل وعلا- بل قد يصل عياذًا بالله إلى سوء الظن بالله.

فالقنوطُ من رحمة الله من صفات الضالين، قال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦].

واليأْسُ من رَوْحِ الله من صفاتِ القوم الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وسوءُ الظنِّ بالله من صفات المنافقينَ والمشركينَ، قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ [الفتح: ٦].

والمؤمنُ بَرَاءٌ من هذا كلـهِّ؛ بـل هـو مُحْسِـنُ الظـنِّ بـالله مهـما اشْـتَدتْ الكروب، وطالَ البلاءُ.

كيف لا يُحسِنُ الظنَّ وربه -جل وعلا- يذكِّرهُ في كـل يـوم أكثـر مـن سبع عشرةَ مرةً أنه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، حيث يقرأُ سورةَ الفاتحةِ في كل ركعة من الصلواتِ المفروضـةِ والنافلـة؛ فكلـما أراد اليـأسُ أن يـدخلَ قلبَـه أو يَتملَّكه القنوطُ قرأ هذه الآيـة فانجَلَـتْ عـن قلبـهِ تلـك الأوهـامُ وتلـك الغيومُ.

كيف لا يُحسنُ المؤمنُ الظنَّ بربه وهو يعلمُ أنَّ الله -جل وعلا- مشيئتُه نافذةٌ، وقدرتُه غالبةٌ، وأنه لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وأنه -جل وعلا- إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: "كن" فيكون.

فكما أن البلاءَ يقعُ لحظةً، فإن زوالَه بقدرةِ الله في لحظةٍ.

كيف لا يحسن المؤمن الظن بربه وهو يعلم بالحديث القدسي: **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)**[1].

فالله -جل وعلا- لك أيها العبدُ كما أنت لله.

فأبشر بخيرٍ، وكن مع الله يكن اللهُّ معك.

والمؤمن يعلم من معاني أسماء الله وصفاته وأفعاله أضعاف أضعاف ما ذكرت؛ مما يقوي حسن ظنِّه بربه.

وما ذكرت إنما هو غيض من فيض، وقبس من نور، وقطرة من بحار معاني أسماء الله وصفاته وأفعاله.

وحسن الظن بالله -جل وعلا- له ثمرات عظيمة؛ منها:

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

١- إجابةُ الدعواتِ، وكشفُ الكرباتِ، وإقالةُ العثراتِ وقبولُ التوباتِ والإثابةُ على الحسناتِ.
٢- قوةُ التوكلِ على الله، والعزيمةِ والإقدامِ، والفألِ والأملِ الحسنِ.
٣- الثباتُ والطمأنينةُ والسكينةُ والرضا والسعادةُ في قلبِ المؤمنِ.
٤- تنفي عن القلب القنوط من رحمة الله، واليأس من رَوحه وسوء الظن به -جل شأنه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الحادي عشر
الخشوع في الصلاة «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

عن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرجل مِنْ الْبُكَاءِ ﷺ)[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اشْتَدَّ برسول الله ﷺ وَجَعُه قيل له في الصلاة، فقال: **"مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فليصلِّ بِالنَّاس"**، قالت عائشة: إن أبا بكر رجلٌ رقيقٌ، إذا قرأ غَلَبَه البكاءُ)[٢].

وعن علقمة بن أبي وقاص قال: (كَانَ عُمَرُ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ الْآخِرَةَ سُورَةَ يُوسُفَ ، قَال: وَأَنَا فِي مُؤَخَّرَةِ الصَّفّ ، حَتَّى إِذَا ذَكَرَ يُوسُف سَمِعْتُ نَشِيجَه ، وَأَنَا فِي مُؤَخَّرَةِ الصُّفُوف)[٣].

هكذا خشع رسولُ الله ﷺ، وهكذا خَشعَ أصحابُه الكرامُ رضي الله عنهم وعلى مثل هذا سار على طريقهم التابعون لهم بإحسان.

والخشوع في الصلاة من أعمال القلوب، له المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة.

---

(١) رواه أبو داود (٩٠٤)، والنسائي (٣/ ١٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه البخاري (٦٨٢).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٢٧٠٣).

ويتبينُ أهميةُ الخشوع في الصلاة في عدة معان؛ منها:

١- أن الخشوعَ في الصلاةِ سبيلٌ للفلاح في الآخرة؛ وذلك بالنجاة من النار ودخولِ الجنة.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]

٢- أن الخشوعَ في الصلاة سببٌ لتكفير السيئاتِ.

قال ﷺ: « **مَا مِنْ امرئ مسلم تحضُرُه صلاةٌ مكتوبةٌ ، فيُحسِنُ وضوءَها وخشوعَها وركوعَها ، إلا كَانَتْ كفارةً لِمَا قبلَها مِن الذنوب ، مَا لَمْ يُؤْتَ كبيرةً ، وَذَلِك الدَّهرُّ كلُّه**»[(١)].

٣- أن الخشوع في الصلاة سبيل للثبات عند نزول المصائب والفتن.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾ [البقرة: ١٥٣ - ١٥٥].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى)[(٢)].

٤- بقدر خشوع العبد في صلاته وعقله لها يكونُ أجرُه منها.

قال ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتُه تُسْعُهَا ، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا ، سُدُسُهَا ، خُمْسُها ، رُبْعُهَا ، ثُلُثُهَا ، نِصْفُهَا**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٨).

(٢) رواه أبو داود (١٣١٩)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٣١٩).

٥- بقدر خشوع العبد في صلاته يجدُ اللذةَ والأنسَ والانشراحَ والطمأنينةَ والراحةَ فيها.

قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال ﷺ: **(يا بلالُ، أَرِحْنا بالصلاة)**[٢].

وقال ﷺ: **(وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)**[٣].

٦- بقدر خشوع العبد في صلاته يكون أثرُها وثمرتُها في نهيه عن الفحشاء والمنكر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤].

فكم من مصلٍّ لم تنهه صلاتُه عن الفحشاءِ والمنكرِ؛ وذلك لأنه لم يؤدِّها بخشوعٍ وخضوعٍ وتذللٍ كما ينبغي.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه أبو داود (٧٩٦٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧١٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٨٥- ٤٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤١٧١- ٤١٧٢).

(٣) رواه النسائي (٣٩٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٩٥٠).

المجلس الثاني عشر
الخشوع في الصلاة «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

والخشوع: هو قيامُ القلبِ بين يدي الربِ بالخضوعِ والذلِ والإِقبال عليه بكليته.

فإن الخشوع روح الصلاة وحياتها، وصلاة بلا خشوع كبدن بلا روح، فالمؤمن عندما يقف أمام ربه مستحضرًا عظمته وأنه -جل وعلا- قُبالةَ وجههِ؛ يسمع قراءتَه وتسبيحَه ودعاءَه وتضرُّعَه، فيخضعُ لذلك قلبهُ وينكسر فؤادُه؛ محبةً وهيبةً وإجلالًا، حينها تعرج روحُه إلى الملكوت الأعلى، فيقرب من ربه، ويقرب منه ربه كما قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، وكما قال ﷺ: **(أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ)**[1]، ويكونُ هذا العروجُ وهذا القربُ على قدر خشوعِه، فينال بذلك صلة الرحمن، وفيض المنان وحلاوة الإيمان، فيدخل منها لأبواب الجنان، جنات الدنيا قبل جنات الآخرة، وهي الأنس بالله وقربه، ولذة مناجاته، والخلو

(١) رواه مسلم (٤٨٢).

به -جل وعلا- فيقوى بذلك قلبه، وتستريح نفسه من شعث الدنيا وغبارها وغصصها وكبدها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى: (فالداعي وَالسَّاجِد يُوَجُّه رُوحَهُ إلَى الله، وَالرُّوحُ لَهَا عروجٌ يُنَاسِبُهَا ، فَتَقَرُبُ مِنْ الله بِلَا رَيْبٍ بِحَسَب تخلصِّها مِنْ الشَّوَائِبِ، فَيَكُونُ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا قريبًا قُربًا يَلْزَمُ مِنْ قُرْبَهَا)[1].

ويقول -رحمه الله- في موضع آخر: (إنَّ رَوحَ المُصَلِّي تَقَرَّبٌ إلَى اللهَّ فِي السُّجُودِ ، وَإِنْ كَانَ بَدَنُهُ متواضعًا ؛ وَهَذَا هُوَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ)[2].

ولعل هذا -والله أعلم- مما يبين لنا سرًّا من الأسرار في فرض الصلاة على النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج دون غيرها من العبادات؛ حيث كلَّمَه ربُّه بلا واسطةٍ ولا تَرجمانٍ، وفُرِضَ عليه وعلى أمته خمس صلوات متفرقة في اليوم والليلة؛ ليبقى قلبُ العبدِ متصلًا به عارجًا إليه خمس مرات، بل أكثر من ذلك لمن حافظ على سنن الرواتب والنوافل، لا يمنعه من ربه شيء، وليس بينه وبين ربه واسطة ولا ترجمان؛ ينطرح بين يدي ربه كلما عناه أمر أو اشتد به كرب.

فلله الحمد على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة، وإن الصلاة لَمَنْ أعظمها وأجلها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٢٤١).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٧).

المجلس الثالث عشر
عظمة القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

دخل رسولُ الله ﷺ المسجدَ الحرامَ، وفيه جمعٌ كبيرٌ من قريش فيهم ساداتهم وكبراؤهم، فقام فيهم، وفاجأهم بتلاوة سورة النجم، فاجتمع في تلاوته أمران: عظمة كلام الله -جل وعلا- بصوت رسول الله ﷺ .

فكان أروعَ كلامٍ سمعوه قط، أخذ مشاعرهم، ونسوا ما كانوا فيه من الكفر والعناد والشقاق، فما من أحد إلا وهو مصغٍ إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا خواتيم هذه السورة، وفيها قوارع تطير لها القلوب: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩﴾ [النجم: ٥٩ - ٦٢].

ثم سجد رسول الله ﷺ ، حينها لم يتمالكوا أنفسهم حتى خروا سجدًا، وفي الحقيقة كانتْ روعةُ الحقِّ قد صَدَعَتْ العنادَ في نُفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا إلا أن يخروا لله ساجدين[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ سَجَد بِالنَّجْم ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ)[2].

---

(١) انظر الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص (١١٦).

(٢) رواه البخاري (١٠٧١).

وبعد هذه القصة الشَّيِّقة سأتحدثُ عن أمرٍ عظيم؛ ولكي نَتَصورَ عظمتَه وعلوَّ شأنِه، لا بد أن أقدم له بعدة مقدمات:

المقدمة الأولى:

إن كلَّ أُمةٍ من الأمم، وكلَّ حضارةٍ من الحضارات لها أدبُها الذي تتمدَّح وتتباهى به أمام غيرها من الأمم.

فهي تَسْبكُ أدبَها كما تَسْبكُ قوالبَ الذهبِ، وتنسجُه كما تُنْسجُ الديباجةُ من خيوط الحرير؛ وتنظمه نظمًا كما تنظم حبات اللؤلؤ.

ولكن ما إن تمر بالأدب العربي من معلقات وشعر ونثر وخطب حتى يتملكك العجب من نظمه ونسجه وسبكه؛ الذي بدوره فاق غيره من اللغات والآداب.

ولقد اهتمت العرب بلغتها وأدبها اهتمامًا بالغًا حتى عقدت لها أسواقًا تحكِّم فيها الشِّعر والخطب.

ولكن عجبُك لا يكاد يُوصَفُ عندما تنظرُ إلى كلام الله -جل وعلا.

فلا مقارنةً بين عظمة أدبِهم أمام عظمةِ كلام الله -جل وعلا؛ إلا كما يقارن كلامُ العبدِ الفقيرِ الضعيف أمام كلامِ اللهِّ الكبيرِ المتعالِ.

المقدمة الثانية:

إن كلام الله -جل جلاله- عظيمٌ، ولا حَدَّ لعظمتهِ؛ لأنه صفةٌ من صفاته.

والله -جل وعلا- أنزل كُتُبًا على رسله، فكانتْ هذه الكتبُ في أعلى وأرقى أسلوب، وأفخم تركيب، وأعذب عبارات في اللغة التي نزل بها

ذلك الكتاب، كالتوراة والإنجيل والزبورِ وصحفِ إبراهيم وغيرِها، ثم يأتي القرآن الكريم ليُهَيْمنُ على الجميع.

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء: ١٩٥].

المقدمة الثالثة:

إن هذا القرآنَ العظيمَ الذي قال عنه أصدقُ القائلين جل جلاله: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ [ص: ٦٧ - ٦٨]، بلغ من العظمة ما تصاغرت أمامه أرباب اللسان وأساطير اللغة، فلم يستطيعوا أن يأتوا ولو بسورة من مثله.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

المقدمة الرابعة:

إن هذا القرآنَ العظيمَ الذي احتوى على مئة وأربع عشرة سورة تَقدُمه سورةٌ واحدةٌ هي سورة الفاتحة التي فخَّم الله قدرَها وأعلى شأنها بقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].

وعن أبي سعيد بن المُعَلَّى رضي الله عنه قال: (مرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي ، فَدَعَانِي فَلَم آتِه حَتَّى صليتُ ثُمّ أتيتُ ، فَقَال: « **مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي ؟**» فقُلت: كُنت أُصلي، فقال: « **أَلَمْ يَقُلِ اللهُ**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾» [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: « **أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ** »، فذهب النبي ﷺ ليخرج من

المسجد فذكَّرْتُهُ، فقال: « **الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[1].

الله أكبر عظماتٌ بعضها مع بعض.

فأين نحن من استشعار عظمة القرآن حين نتلوه أو نستمع له؟!

وأين نحن من عظمة سورة الفاتحة؟! التي أُمرنا أن نقرأها في كل ركعة من ركعات صلاتنا.

فنحن نقرؤها في اليوم أكثر من سبع عشرة مرة، مما يدل على أنها غذاء لقلب المؤمن لا غنى له عنه ألبتة.

فحريٌّ بسورةٍ هذا شأنُها وعظمتُها أن يتعلم المؤمنُ تفسيرَها ويتدبر معانيَها ويتأمل أسرارَها، ويرتع في ربيعِها، ويعملَ بمقتضاها.

فإن هذه الأمورَ لهي من دواعي خشوعه في صلاته واستشعاره لذة مناجاته لربه، والقرب منه.

وصدق عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ يقول:

(لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكم مَا شَبِعْتُم مِنْ كَلَامِ الله عز وجل)[2].

اللهم طهر قلوبنا واجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا ونور صدورنا، وذهاب همومنا وغمومنا، واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلُك وخاصتُك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٠٣).

(٢) كتاب الزهد لأحمد بن حنبل (٦٨٦).

المجلس الرابع عشر
تفسير سورة الفاتحة وتدبرها «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ولما كانت سورة الفاتحة مما نقرؤه ونسمعه في اليوم عدة مرات؛ أصبح كثيرٌ منا لا يجدُ لذتَها ولا الأنسَ بتلاوتِها خاصةً في صلاة التراويح؛ لتكرارها في كل ركعة، فالله المستعان وعليه التكلان.

أخي المصلِّي، لكي نتعرفَ على شيء من عظمة هذه السورة المباركة لنتأمل هذه المناجاة بين العبد الفقير، وربه الغني المتعال في هذا الحديث القدسي العظيم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(قَالَ الله تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: [الحمد لله رَبِّ العالمين]، قَالَ الله تعالى: حَمِدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: [الرحمن الرحيم]، قَالَ الله تعالى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: [مالك يَوْم الدين]، قَالَ الله تعالى: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فوَّض إليَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: [إياك نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نستعين]، قَال: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: [اهدنا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضالين]، قَال: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)**[1].

---

(١) رواه مسلم (٣٩٥).

فوالله ما استشعر عبدٌ هذه المناجاةَ حقًّا وصدقًا إلا مُلِئَ قلبُه خشوعًا وخضوعًا وتضرعًا وإخباتًا وافتقارًا؛ وكذلك مُلِئَ لذة وفرحًا وأنسًا وطمأنينة؛ بقدر استشعاره وصدق مناجاته.

فيا لها من مناجاة لو عقلناها!

ولنبدأ جميعًا مستعينين بالله في تفسير سورة الفاتحة:

قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾

[أَي : أَبْتَدِئ بِكُلِّ اسْمِ لله -تعالى- لِأَنَّ لَفْظَ "اسم" مُفْرَدٌ مُضَافٌ فَيَعُمُّ جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى][1].

والمعنى: أبتدئ قراءتي مستعينًا ومتبركًا باسم الله.

و﴿ٱللَّهِ﴾: اسم الله رب العالمين لا يُسمَّى به غيره؛ وهو أصلُ الأسماءِ؛ ولهذا تأتي الأسماءُ تابعةً له.

و ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: أي ذو الرحمة الواسعة، ولهذا جاء على وزن (فَعْلان) الذي يدل على السعة.

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أي الموصلُ للرحمةِ مَنْ يشاءُ من عبادِه؛ ولهذا جاءت على وزن "فعيل" الدال على وقوع الفعل.

فهنا رحمةٌ هي صفتُه هذه دلَّ عليها ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، ورحمةٌ هي فِعْلُه أي إيصال الرحمة إلى المرحوم دل عليها ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾.

و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اسمان من أسماء الله يدلان:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٣٩) طبعة مؤسسة الرسالة.

١-على الذات. ٢- وعلى صفة الرحمة. ٣- وعلى الأثر: أي الحكم الذي تقتضيه هذه الصفة.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ وَصْفُ المحمودِ بالكمال مع المحبة، والتعظيم؛ الكمال الذاتي، ولا بد من قيدٍ وهو "المحبة، والتعظيم"؛ قال أهل العلم: "لأنَّ مجردَّ وصفِه بالكمال بدون محبةٍ، ولا تعظيمٍ: لا يُسَمَّى حمدًا؛ وإنما يُسَمَّى مدحًا[١].

و"ال" في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ لاستغراق جميع المحامد.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ﴾: اللام للاختصاص، والاستحقاق؛ و"الله" اسم ربنا ﷻ؛ لا يسمى به غيره؛ ومعناه: المألوه أي المعبود حبًّا، وتعظيمًا.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ "الرب": هو مَنْ اجتمعَ فيه ثلاثة أوصاف: الخلق، الملك، التدبير؛ فهو الخالق المالك لكل شيء المدبر لجميع الأمور؛ و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: قال العلماء: كل ما سوى الله فهو من العالم؛ وُصفوا بذلك؛ لأنهم عَلَمٌ على خالِقهم -سبحانه وتعالى- ففي كل شيء من المخلوقات آيةٌ تدل على الخالق: على قدرته، وحكمته، وعزته، وغير ذلك من معاني ربوبيته[٢].

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ صفة للفظ الجلالة؛ و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ صفة أخرى؛ و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ هو ذو الرحمة الواسعة؛ و{الرَّحِيمِ} هو ذو الرحمة الواصلة؛ فـ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وصفه؛ و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فعله؛ ولو أنْ جِيء

(١) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة- البقرة) (١/ ٥-٩) باختصار/ للشيخ محمد بن عثيمين.

(٢) انظر تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة) (١/٩- ١٠) باختصار وتصرف للشيخ محمد العثيمين.

بـ"الرحمن" وحده، أو بـ"الرحيم" وحده لشمل الوصف والفعل، لكن إذا اقْتَرَنَا فُسِرَ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بالوصف؛ و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالفعل[1].

الله -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة يذكرنا على مدار اليوم والليلة أكثر من سبع عشرةَ مرة أنه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

فهو -جل ثناؤه- من عظيم لطفه لم يذكرْ اسمًا واحدًا يدل على رحمته ولو كان ذلك لكفى.

ولكنه ﷻ يذكر اسمين يدلان على رحمته الواسعة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ورحمته الدائمة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾.

ولعل من حكم ذلك أن لا يدخلَ القنوطُ من رحمتِه واليأسَ من روحِهِ لقلوب عبادِه المؤمنين.

فعندما تَشْتدُّ بهم الكروبُ وتحيطُ بهم الخطوبُ، تأتيهم الذكرى من ربهم أنه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فتنجلي همُومهم، وتتبدد غمومُهم ويملأ الرجاءُ وحسنُ الظنِّ وصدقُ الأملِ قلوبَهم.

فالحمد لله رب العالمين على رحمته ولطفه، فنعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة – البقرة) للشيخ محمد العثيمين (١/ ١١).

المجلس الخامس عشر
تفسير سورة الفاتحة وتدبرها «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

قوله -تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ صفة لـ﴿ٱللَّهِ﴾، و﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ هو يوم القيامة؛ و﴿ٱلدِّينِ﴾ هنا بمعنى الجزاء؛ يعني أنه -سبحانه وتعالى- مالك لذلك اليوم الذي يجازي فيه الخلائق؛ فلا مالكَ غيرهُ في ذلك اليوم[1].

ومشهدُ يوم القيامة يمرُّ علينا في كل ركعة نركعها في صلاتنا؛ الفريضة منها والنافلة ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، كل ذلك لئلا نغفل عن يوم الجزاء والحساب، ولكن أين قلوبُنا من مشهدِ خروجِ الناسِ من قبورهمِ حفاةً عراةً غرلًا؟![2].

أين قلوبُنا من مشهدِ دُنوِّ الشمسِ من الخلقِ كقَدرِ ميل فيكونُ الناسُ على قدر أعمالهم في العَرَقِ، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يُلجمُه العرقُ إلجامًا؟![3].

أين قلوبُنا من مشهد ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

---

(١) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة) للشيخ محمد العثيمين (١/ ١١- ١٢).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٤).

أين قلوبُنا من مشهدٍ حين [يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أَخْرِجْ بعثَ النارِ، قال: وما بَعْثُ النار؟ قال: من كل ألفٍ تسعمئة وتسعة وتسعين، فذلك حين يشيبُ الصغيرُ، وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكنَّ عذابَ الله شديد]؟![1].

أين قلوبُنا من مشهدِ تطايرِ الصحفِ، فآخذٌ كتابَه بيمينه وآخذٌ كتابَه بشماله أو من وراءِ ظهرِه؟!

أين قلوبُنا من مشهدِ المرور على الصراط المضروب على متن جهنم [فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا]؟![2].

فاللهم ربَّنا أيقظْ قلوبَنا من الغفلةِ يا رحمنُ يا رحيمُ يا رب العالمين.

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

أي: نختصُك وحدَك بالعبادة والاستعانة؛ لأن تقديمَ المعمولِ يفيدُ الحصرَ، وهو إثباتُ الحكمِ للمذكور ونفيُه عمَّا عداه، فكأنه يقول: نعبدك ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك.

وقدَّم العبادة على الاستعانة؛ من باب تقديم العام على الخاص، واهتمامًا بتقديم حقه -تعالى- على حق عبده.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

و"العبادةُ" اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُه اللهُ ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

و"الاستعانةُ": هي الاعتمادُ على الله -تعالى- في جلبِ المنافعِ ودفعِ المضارِ، مع الثقة به في تحصيل ذلك.

والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيلَ إلى النجاةِ إلا القيامُ بها، وإنما تكونُ العبادةُ عبادةً إذا كانت مأخوذةً عن رسول الله ﷺ مقصودًا بها وجه الله، فبهذين الأمرين تكون عبادة.

وذِكْرُ "الاستعانة" بعد "العبادة" مع دخولها فيها، لاحتياج العبد في جميع عباداته على الاستعانة بالله -تعالى- فإنه إن لم يُعنْه الله، لم يحصلْ له ما يريدهُ من فعلِ الأوامرِ واجتنابِ النواهي[1].

فأنفعُ الدعاءِ: طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب، إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله وتيسير أسبابه، فتأملها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- تأملتُ أنفعَ الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٩).

(٢) مدارج السالكين (١/١٦٧).

المجلس السادس عشر

تفسير سورة الفاتحة وتدبرها «٣»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

(المراد بـ الصِراط) الطريق، والمراد بـ(الهداية) هداية الإرشاد، وهداية التوفيق، فأنت بقولك: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ نسأل الله تعالى علمًا نافعًا وعملًا صالحًا، و﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أي الذي لا اعوجاج فيه[1].

والحاجةُ إلى الهدى أعظمُ من الحاجة إلى النصر والرزق بل لا نسبة بينهما؛ لأنه إذا هدى كان من المتقين، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب[2].

وعلى قدر ثبوتِ قدمِ العبدِ على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قَدَمه على الصراط المنصوب على متن جهنم.

وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكونُ سيرَه على ذاك الصراط.

فمنهم مَنْ يمرُّ كالبرقِ، ومنهم مَنْ يَمرُّ كالطرفِ، ومنهم مَنْ يَمرُّ كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعى سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم مخدوش المسلم، ومنهم المكردس في النار.

---

(١) القرآن الكريم (الفاتحة – البقرة) للشيخ محمد العثيمين (١/١٦).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١١٦).

فلينظر العبدُ سيرَه على ذلك الصراط من سيره على هذا، حذو القُذة بالقذة جزاءً وفاقًا، قال تعالى: ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠][(١)].

قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ عطف بيان لقوله تعالى: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، والذين أنعم الله عليهم هم الذين عملوا به، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [النساء: ٦٩].

إسناد النعمة إلى الله تعالى وحده في هداية الذين أنعم عليهم؛ لأنها فضل محض من الله[(٢)].

وعندما تقرأ -أيها المصلي- أو تسمع قوله -تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ينبغي لك أن تستشعر عدة معانٍ؛ منها:

١- أن الهدايةَ محضُ فضل من الله -جل وعلا- لأن نعمة الهداية أُسندت إليه جل جلاله في قوله {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}؛ فتحمد الله على الهداية وتسأله الزيادة والثبات.

قال الله -تبارك وتعالى- في الحديث القدسي: [**يَا عِبَادِي، كُلُّكُم ضَالٍ إِلَّا مَنْ هَدِيتُه فاستهدونِ أَهْدِكُم**][(٣)].

---

(١) مدارج السالكين (١/٥٢).

(٢) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة) (١/ ١٧-١٩).

(٣) رواه مسلم (٥٧٧).

٢- أن تتذكر الماضين من المهدتين من النبيين، والصديقين والشهداء والصالحين. فتقتدي بهم، وتسأل الله أن تكون في زمرتهم.

٣- أن تتذكرَ أنك لستَ وحدَك في طريق الهدى، فلا تَسْتوحِشْ وإن تَفردتَّ عن أهل زمانك وبني جنسك؛ فإنه قد مَرَّ بهذا الطريق قوافلُ كثيرةٌ ممن اجتباهم الله واختارهم واصطفاهم، فلا تَكْترثُ بمخالفة الناكبين عن طريق الهدى؛ فإنهم هم الأقلون قدرًا؛ وإن كانوا الأكثرين عددًا[1].

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

"غير" صراط "المغضوب عليهم" الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم، وغير صراط "الضالين" الذين تركوا الحق على جهل وضلال؛ كالنصارى ونحوهم[2].

(والضالين) وهم أهلُ فسادِ العلمِ الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه[3].

وقول المصلِّي: آمين، معناها اللهم استجب، وهي ليست من سورة الفاتحة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) انظر مدارج السالكين (١١/ ٧٠) بتصرف.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٣٩) طبعة مؤسسة الرسالة.

(٣) مدارج السالكين (١/ ١٢٨).

المجلس السابع عشر

محبة الله -جل جلاله- والشوق إليه «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

مَنْ لم يعرفْ جمالُ يوسفَ -عليه الصلاة والسلام- الظاهر حيث أُوتِي شطر الحسن، ومَنْ لم يعرفْ جمالَه الباطن حيث أوتي الصديقيةَ والعفةَ، وتاجُ ذلك أوتِي النبوةَ، من لا يعرف ذلك قد لا يقدِّر لِمَ بكى عليه أبوه يعقوب -عليه السلام- محبة وشوقًا وحزنًا حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم!![1].

(ولله المثل الأعلى) ومن لم يعرفْ جمال الله -جل جلاله- لا يبكي شوقًا إليه؛ فقد قال ﷺ: « **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ** »[2].

والله -جل جلاله- جميل في ذاته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله.

فأما جمال الله -جل وعلا- في ذاته فلا يعرفه إلا المؤمنون إذا دخلوا الجنة ورأوا ربهم -جل ثناؤه- جعلني الله وإياكم منهم.

---

(١) انظر بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ١٢٢٣) بتصرف.

(٢) رواه مسلم (٩١).

وأما جمال الله -جل وعلا- في أسمائه وصفاته وأفعاله فيعرفه كل من نظر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، ونظر في كلام أهل العلم ممن يُعنى بشرح أسماء الله وصفاته وأفعاله.

فالعبد كلما ازداد معرفة وعلمًا بذلك، كلما ازدادت محبتُه لله -جل جلاله- وكلما ازدادت محبتُه لله كلما ازداد شوقُه إليه.

ذلك أن الشوقَ أثرٌ من آثار المحبة، وبزيادته في القلب يزداد الشوق، وبضعفه يخبو الشوق ويضعف.

"ولله المثل الأعلى" ألا ترى أن:

١- هناك أناسًا تحبهم، ولكن لا تشتاق إليهم.

٢- وهناك أناسًا تحبهم، وتشتاق إليهم.

٣- وهناك أناسًا تحبهم، وتبكي شوقًا إليهم.

فأين اللهُّ -جل جلاله- في قلبي وقلبك من هذه الأصناف الثلاثة؟!

ألسنا نقول: إنَّا نحبُّ الله -جل جلاله- أعظمَ من كلِّ شيء، إذًا أين الشوقُ إليه؟!

ألسنا نشتاق لوالدينا وإخواننا وأزواجنا وأبنائنا وأصدقائنا، خاصة عند فقدهم أو بعدهم عنا.

ألسنا نُحِبُّ الله -جل جلاله- أعظمَ منهم، فأين الشوق إليه؟!

من منا جَلَسَ وَحْدَهُ فذَكَر عظمةَ الله وجمالـه وجلالـه ففاضـتْ عينـاه شوقًا إليه؟!

والشوقُ إلى الله -جل جلاله- من أعلى وأجل أعمال القلوب ومن أشرف مقاماتِ العبدِ وأرفعِها.

وقال ابن رجب - رحمه الله تعالى: (الشَّوْقِ إِلَى لِقَاءِ اللهَّ دَرَجَةً عَالِيَةٍ رَفِيعَةٌ تَنْشَأُ مِنْ قُوَّةِ الْمَحَبَّةِ للهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْأَلُ اللهَّ هَذِهِ الدَّرَجَةُ).

خرَّج الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه، والحاكم من حديث عمار بن ياسر أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: (**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْق ... وَأَسْأَلُك لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِك، وَالشَّوْق إِلَى لِقَائِك فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةَ مُضِلَّةٍ**)[1].... [2].

والشوق إلى الله -جل جلاله- على نوعين:

١- الشوق إلى الله في الدنيا؛ وذلك بالشوق إلى قُرْبِهِ وحلاوةِ مناجاتهِ والأنسِ به والطمأنِينة إليه؛ وذلك يكون بالمسارعة إلى العبادات محبة وشوقًا.

(١) رواه أحمد (١٨٣٢٥) وغيره، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٢٣٧).

(٢) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٣/ ٣٥١).

كما قال ﷺ: « **أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ** »[١].

وقوله ﷺ: « **وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ** »[٢].

٢- الشوق إلى لقاء الله في الآخرة؛ وذلك بالشوق إلى رؤيته وسماع كلامه -جل ثناؤه- في الجنة.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]، قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- عن هذه الآية:

(قِيل : هَذِه تَعْزِيَةٌ للمشتاقين، وَتَسْلِيَة لَهُم)[٣].

وقال ﷺ: « **وَأَسْأَلُك الشَّوْقَ إلَى لِقَائِك فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلَا فتنةٍ مُضِلَّة**»[٤].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه النسائي (٦١/٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٦٨٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٨٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤١٧١).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٥١١).

(٤) سبق تخريجه ص (٨٣).

المجلس الثامن عشر

محبة الله -جل جلاله- والشوق إليه «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

دخل النبي ﷺ على أُمِّنا عائشة رضي الله عنها بعد ثمان ليال، وكانت أحبُّ نسائه إليه فقال: " **يَا عَائِشَةُ ، ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ رَبِّي** " قَالَت : وَاللهَّ إِنِّي لأُحِبُّ قُرْبَك ، وَأُحِبُّ مَا يَسُرُّك ، قَالَت : فَقَام وَتَطْهُر ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ ، ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ ، وَجَاء بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ تَبْكِي ، وَقَدْ غَفَرَ الله لَك مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ ! قَال : «**أَفَلَا أَكُونُ عبدًا شكورًا؟!**»[1].

هكذا كان شوقُ النبي ﷺ لربه -جل جلاله- فأين شَوْقُنا لربنا؟

قد يقول قائل: الشوقُ إلى الله -جل جلاله- منزلةٌ عاليةٌ ومقامٌ رفيعٌ لا يصلُ إليه أي أحدٍ من الناس.

نعم الأمر كذلك، ولكن نحتاج لبيان أمر قد يغفل عنه كثير من الناس وهو:

أن محبة الله -جل وعلا- والشوق إليه قريبة من العبد جدًّا؛ إذ هي مركُوزة ومكنوزة في أعماق قلبه، ومتجذرة في ضميره، خلقها الله -جل وعلا- فيه كما خلق له عينين ولسانًا وشفتين، إنها الفطرة!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى:

(وَالْقَلْبُ إنَّمَا خُلِقَ لِأَجْل "حُبِّ اللهِ تعالى" وَهَذِهِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ الله

---

(١) رواه ابن حبان وصححه الألباني في صحيح ابن حبان (٥٢٣).

عَلَيْهَا عِبَادَه، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **" كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَو يمجسانه ، كَمَا تُنْتِج الْبَهِيمَة بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّون فِيهَا جَدْعَاءَ"** ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه اقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[1] [الروم: ٣٠].

فالله -سبحانه- فطر عباده على محبته وعبادته وحده، فإذا تُرِكَتْ الفطرةُ بلا فسادٍ كان القلبُ عارفًا بالله، محبًّا له، عابدًا له وحده ...)[2].

ويقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- مبينًا أن محبة الله والشوق إليه في قلب العبد وإن غفل عنها:

(وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ مَحَبَّةٌ لله -تعالى- وَطُمَأْنِينَةٌ بِذِكْرِه، وتَنَعُّمٌ بِمَعْرِفَتِه، وَلَذَّةٌ وَسُرُورٌ بِذِكْرِه، وَشَوْقٌ إِلَى لِقَائِهِ ، وَأَنس بِقُرْبِه ، وَإِنْ لَمْ يحسَّ بِه ؛ لِاشْتِغَالِ قَلْبِهِ بِغَيْرِه ، وَانْصِرَافُهُ إِلَى مَا هُوَ مَشْغُولٌ بِه ، فَوُجُود الشَّيْءُ غَيْرَ الْإِحْسَاس وَالشُّعُورِ بِهِ .

وَقُوَّةُ ذَلِكَ وَضَعْفَهُ وَزِيَادَتُه وَنُقْصَانُه، هُوَ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَان وَضَعْفِه وَزِيَادَتُه وَنُقْصَانِه)[3].

قد يقول قائل: كيف لي أن أصلَ إلى درجة الشوق إلى الله، وأُجدِدُّها في قلبي؟!

إن من أهم الأسباب التي يتحقق بها -بإذن الله- الشوق إلى الله -جل جلاله- في قلب العبد عدة أمور؛ منها:

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣٤- ١٣٥).

(٣) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (٢/ ٩٤٨).

١- إزالةُ الحجبِ -من ذنوب الشهوات والشبهات وأمراض القلوب- عن الفطرة والقلب؛ ذلك لأنها تُكَدِّر الفطرةَ وتُرِينُ على القلب؛ فتعيقُ وتمنعُ أشواقَ العبد إلى ربه.

ولما كان الشوق إلى الله -جلَّ وعلا- أثرًا من آثار المحبة، كان لا بد له من أن يتأثر بالمحبة زيادة ونقصًا، فكلما زادت المحبة زاد الشوق، وكلما نقصت المحبة نقص الشوق.

ومحبةُ الله ﷻ في قلب العبدَ تَنْقصُ بقدر اقترافِه للذنوبِ من شهواتٍ وشبهاتٍ وأمراض قلوب؛ كالكبر والفخر والخيلاء والحسد والرياء والسمعة والعجب وغيرها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى: (وَالذُّنُوب تُنْقِصُ مِنْ مَحَبَّةِ الله -تعالى- بِقَدَرِ ذَلِكَ)[1].

ويؤيد هذا قوله ﷺ: « **أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَة نُكتت فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَإِذَا هُوَ نَزَع ، وَاسْتَغْفَر ، سُقل قَلْبه ، وَإِنْ عَادَ زِيْدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، وَهُو الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ:** ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] »[2].

٢- تحليةُ القلبِ وتغذيتُه بمعرفة الله -جل وعلا- والعلم به عن طريق العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، علمًا يورث إيمانًا ومحبة وشوقًا، يتبعه عمل وسلوك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم (٢/ ٢٥٨).

(٢) رواه الإمام أحمد (٧٩٥٢)، والترمذي (٣٣٣٤) وقال: الحديث حديث صحيح.

المجلس التاسع عشر

محبة النبي ﷺ «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

محبة الله ورسوله ﷺ من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين[(١)].

ومحبة النبي ﷺ من أجل أعمال القلوب وأعلاها قال الرسول ﷺ: « **لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** »[(٢)].

ولقد ضرب أصحابُ الرسولِ ﷺ أروعَ الأمثلةِ في محبتهم لرسول الله ﷺ، وسأذكر بعضًا منها:

١- (بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذا أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمِنْكَبِه ودفعَه عن النبي ﷺ قال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله)[(٣)].

٢- خرج رسول الله ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم لفتح مكة، فلما قربوا منها.

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٢٨).

(٢) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٣) رواه البخاري (٣٦٤٣).

لقي العباس رضي الله عنه أبا سفيان فقدم به لخيمة رسول الله ﷺ ليستأمن لأهل مكة.

فلما رآهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسرع إلى رسول الله ﷺ ، ولما دخلوا جميعًا خيمة رسول الله ﷺ قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، هذا أبو سفيان فدعني أضرب عنقه، فقال العباس: يا رسول الله، إني قد أجرته، فلما أكثر عمر في شأنه قال العباس: مهلًا يا عمر، فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت مثل هذا، فقال عمر: مهلًا يا عباس، فوالله لإسلامك كان أحب إليَّ من إسلام الخطاب، لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب [١].

٣- لما أرسل رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه لأهل مكة؛ ليخبرهم أنهم لم يأتوا للقتال، وإنما جاؤوا عُمَّارًا، ولما بلغ ساداتِ قريش وزعماءها ما أرسله به رسول الله ﷺ؛ قالوا لِعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فَطُفْ به، فقال: ما كنتُ لِأفعلَ حتى يطوفَ به رسولُ الله ﷺ [٢].

٤- سُئِلَ علي رضي الله عنه كيف كان حُبكم لرسول الله ﷺ، قال: (كَانَ وَاَللَّهِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلادِنَا وآبائِنا، وأمهاتِنا، وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمَأ) [٣].

---

(١) انظر الرحيق المختوم (٤٠٦- ٤٠٧).

(٢) رواه أحمد (١٩٤٢٣).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ٥٦٨).

أيها الإخوةُ والأخواتُ الكرامُ هل اشتقتم لنبيكم ﷺ، فلقد اشتاق إليكم.

فقد قال ﷺ: **(وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا ، فَقَالُوا : أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ ؟ يَا رَسُولَ الله، قَال : أَنْتُمْ أَصْحَابِي ، إِخْوَانَنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ)**(١).

ولكنني أخشى أن يكونَ ممن اشتاق إلى النبي ﷺ الآن، لا يريد مقابلته، ولا أن يستضيفه في منزله رغم شوقه إليه.

أتدرون لماذا؟!

كيف له أن يَلْقى رسولَ الله ﷺ وقد خَالفَ أمرهَ، وتَركَ سنتَه؟!

كيف له أن يستضيفَه في بيتٍ فيه قنواتٌ تحاربُ دينَه تبثُّ الشهواتِ والشبهاتِ؟!

فمن يَسْتِحي أن يراه رسولُ الله ﷺ وحُقَّ له ذلك، فالله -جل جلاله- أولى أن يُستحيا منه الذي لا تخفى عليه منا خافيةٌ.

إن اتباع النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا هو عنوان محبته -عليه الصلاة والسلام- فبقدر اتباعه ﷺ تكونُ محبتُه، وبقدر التقصير في ذلك؛ إما جفاء أو غلوًّا يكون قدر التفريط في محبته.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩).

المجلس العشرون

محبة النبي ﷺ «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالناس في محبته ﷺ عدة أصناف:

الصنف الأول: غَلَوْا في محبته، وبالغوا في ذلك، وأتوا بأمور لم يأمر بها رسول الله ﷺ ولم يفعلها أصحابه رضي الله عنهم من بعد موته.

فابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله.

وهذا الصنف على قسمين:

١- قوم أحدثوا بدعًا كالمولد النبوي، وليلة النصف من شعبان، وبعض الأذكار التي لم ترد عن رسول الله ﷺ، أو حددوا لبعض الأذكار العامة وقتًا أو طريقة أو عددًا، وغيرها من البدع، ولكنها بدعًا ليست مكفرة، وغير مخرجة من الملة.

ولكن يَصْدقُ عليها قوله ﷺ: [**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**][1].

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

وقوله ﷺ: [**إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**][1].

فهؤلاء على خطر عظيم؛ لمخالفتهم هديه وسنته ﷺ.

٢- قومٌ أحدثوا بدعًا مُكفرِّةً مخرجةً من الملة؛ وذلك بصرف بعض أنواع العبادة له ﷺ كدعائه، والتوسل والاستشفاع به، أو رفعه عن منزلته التي أنزلها إياه ربه؛ حيث وصفوه بصفات لا تنبغي إلا لله تعالى وحده، ومن ذلك قول قائلهم:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ** وَمَن علومك علم اللوح والقلم

فإذا كانت الدنيا والآخرةُ من جُودِ الرسولِ ﷺ ، ومن علومه علمُ اللوحِ والقلمِ، فماذا بقي لله -جل جلاله؟!

الصنف الثاني: من جفا في محبته ﷺ، وهما قسمان:

١- من ردَّ سنتَه وقدَّمَ عليها العقلَ أو الذوقَ أو الكشفَ أو أقوالَ الرجالِ.

٢- من قصَّرَ في الأخذِ بسنةِ النبي ﷺ؛ وذلك بالإسراف على نفسه بالمعاصي والذنوب.

الصنف الثالث: من أخذ بسنته ﷺ ظاهرًا وباطنًا حذو القُذَّةِ بالقذةِ.

فاتبعوا ولم يبتدعوا، ولم يجفوا ولم يغلوا.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥].

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) انظر صحيح أبي داود للألباني (٦٤٠٧).

وأما الصنف الأول والثاني فيُخْشَى عليهم إن لم يتوبوا ويرجعوا إلى سنته وهديه ﷺ أن يُردُّوا عن حوضهِ ﷺ.

فقد قال ﷺ: **(ألا لَيُـذَادنَّ رِجَـالٌ عَـن حَـوْضِي كَـمَا يُـذادُ الْبَعِـيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ أَلَا هلمَّ، فَيُقَال: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَـأَقُول: سـحقًا سحقًا)**[1].

قال النووي -رحمه الله تعالى- في شرح الحديث:

[هَذَا مِمَّا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِهِ عَلَى أَقْوَالٍ ... ثُمَّ ذَكَرَ مِنْهَا:

وَالثَّالِث: أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَصْحَابُ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَأَصْحَابُ الْبِدَعِ الَّذِينَ لَمْ يَخْرُجُوا بِبِدْعَتِهِمْ عَنْ الْإِسْلَامِ][2].

ومما سبق فوائد كثيرة؛ منها:

١- أن ورود حوضه ﷺ مشروط بصدق الاتباع وعدم التبديل، وأن الورود ليس لكل أحد وإن كان من المسلمين.

٢- أن الحشر معه ﷺ يوم القيامة وفي زمرته وتحت لوائه مشروط بصدق الاتباع وعدم الابتداع، أو التفريط في الأخذ بسنته والركون إلى الشهوات أو الشبهات؛ وذلك لأن صدق الاتباع هو عنوان المحبة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧].

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى:

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩).

(٢) شرح مسلم (٣/ ١٣٦- ١٣٧).

(أَيْ جُمِعَ كلُّ شَكْلٍ إِلَى نَظِيرِهِ كَقَوْلِـه: ﴿ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢])[١].

وقال ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[٢].

أسألُ اللهَ الحيَ القيومَ، أن يجعلنا وإياكم ووالدينا وإخواننا وأزواجنا وذرياتنا وإخواننا المسلمين ممن يرد حوض النبي ﷺ ويشربُ من يده الشريفة شربة ولا يظمأُ بعدها أبدًا.

وأن يحشرنا جميعًا في زمرته وتحت لوائه، اللهم آمين، اللهم صلِّ على محمد.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تفسير القرآن الكريم (٥/ ٩٠).

(٢) رواه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

المجلس الحادي والعشرون
الخوف من الله جل جلاله «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

قال نافع: خرجت مع ابن عمر رضي الله عنهما في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له، فوضعوا سفرة فمَر بهم راعٍ.

فقال له عبد الله: هلمَّ يا راعي، فَأَصِبْ من هذه السفرة، فقال: إني صائم.

فقال له عبد الله: في مثل هذا اليوم الشديد حره، وأنت في الشعاب، في آثار هذه الغنم، وبين الجبال ترعى هذه الغنمَ، وأنت صائم؟!

فقال الراعي: أبادرُ أيامي الخالية فعَجبَ ابنُ عمر.

قال: هل لك أن تبيعنَا شاةً من غنمك نجتزرُها، ونُطْعمُك من لحمها ما تُفِطُر عليه ونعطيك ثمنَها؟

قال: إنها ليست لي إنها لمولاي.

قال: فما عسيتَ أن يقولَ لك مولاك إن قلتَ أكلها الذئبُ؟

فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟!

قال: فلم يزلْ ابنُ عمر يقول: (قال الراعي: فأين اللهُ؟!).

فما عدا أن قدم المدينة، فبعث إلى سيده، فاشترى منه الراعي والغنم، فأعتق الراعي ووهب له الغنم[١].

إن الخوف من الله -جل جلاله- من أجل وأعظم أعمال القلوب وأنفعها للقلب.

إذ الخوفُ أحدُ أركانِ العبادةِ التي لا تقوم إلا بها، وهي: المحبة والخوف والرجاء.

وأحد جِناحَيْ القلبِ في سيره إلى الله -جل جلاله- إذ [الْقَلْبِ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ ، فَالْمَحَبَّة رَأْسَه ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ جَنَاحَاه][٢].

والخوف من الله على مقامين:

المقام الأول: الخوف من عذاب الله.

المقام الثاني: الخوف من الله نفسه.

وكلا المقامين يحصل للكُمَّل من عباد الله المؤمنين؛ كالأنبياء ومن دونهم، وذلك بحسب ورود المعاني الإيمانية على القلب.

فقد تمرُّ عليه أهوالُ يوم القيامة، وصفةُ النار وما فيها من العذاب الأليم، أو يتذكرُّ العقوباتِ الدنيويةِ سواء حسية أو معنوية.

حينها يتملك القلب الخوف والرهبة.

---

(١) صفة الصفوة (٢/١٨٨).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٤٥).

إذ الخوف: (عِبَارَةٌ عَنْ تَأَلُّمُ الْقَلْبِ وَاحْتِرَاقُهُ بِسَبَبِ تَوَقُّعِ مَكْرُوهٍ فِي الِاسْتِقْبَالِ)[1].

وقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣].

وأما المقام الثاني فلا يحصل إلا للعلماء بالله، حين تمرُّ عليهم صفاتُ الكمال والجلال والكبرياء والعظمة، فيتملك قلوبهم الخشية والهيبة.

إذ الخشية: (خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِالْمَعْرِفَة)[2].

وهي أخصُّ من الخوف.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨].

فالخشية هي للعلماء العالمين بالله -جل جلاله.

وقال ﷺ: (**إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاَللهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً**)[3].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) المصدر السابق ص (٣٢٨).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٣٧).

(٣) رواه البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦).

المجلس الثاني والعشرون
الخوف من الله جل جلاله «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

(وَمَا فَارَق الْخَوْفُ قلبًا إلَّا خَرِبَ ، فَإِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقُلُوبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ فِيهَا ، وَطَرَدَ عَنْهَا إيثَارَ الدُّنْيَا).

فكم أطلق الخوفُ من سجين في لذتِّهِ كانت قد اسْتُحْكِمَتْ عليه سكرتُه! وكم فكَّ من أسيرٍ للهوى ضاعت فيه همتهُ! وكم أيقظ غافلًا الْتَحفَ بلِحافِ شهوته! وكم من عاقٍّ لوالديه ردَّه الخوفُ عن معصيته! وكم من فاجر في لَهوهِ قد أيقظه الخوفُ من رقدته! وكم من عابد لله قد بكى من خشيته! وكم من مسافرٍ إلى الله رافقَه الخوفُ في رحلته! وكم من محب لله ارتوتْ الأرضُ من دمعته! فلله ما أعظم الخوفَ لَمَنْ عَرَفَ عِظَمَ منزلتِه.

وللخوف من الله -جل جلاله- أهميةٌ عظيمةٌ في حياة المؤمن؛ منها:

١- أن الخوف من الله -جل جلاله- من لوازم الإيمان.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

٢- أن الخوف من الله جل جلاله يُعِينُ العبدَ على إخلاص أعماله لله وحده.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الانسان: ٩ - ١٠].

٣- أن الخوف من الله -جل جلاله- من أهم الأسباب في حث العبد على المسارعة للأعمال الصالحة.

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧].

٤- أن الخوفَ من الله -جل جلاله- سببٌ لاجتنابِ المعاصي والمنكراتِ؛ إذْ المعاصي والمنكرات من أسبابِ العقوباتِ في الدنيا والعذابِ في الآخرة.

٥- أن الخوفَ من الله -جل جلاله- سببٌ لحفظ الله لعبده من كل سوء.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (**ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ : خَشْيَةُ الله تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ**)[1].

٦- أن الخوف من الله -جل جلاله- سبب للانتصار على الأعداء والتمكين في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣- ١٤].

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٥٢)، وحسنه الألباني.

٧- أن الخوف من الله -جل جلاله- سبب للأمان في الآخرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ يروي عن ربه -جل وعلا- قال: **[وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنتُه يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]**(١).

٨- أن الخوف من الله -جل جلاله- سبب من أسباب ظِلِ اللهَ عبده تحت ظِلِهِ يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.

وذكر في الحديث: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**»(٢).

٩- أن الخوف من الله -جل جلاله- سبب لنَيْلِ رضا الله.

قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[البينة: ٨].

١٠-أن الخوف من الله -جل جلاله- سبب لدخول الجنة.

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) صحيح ابن حبان (٦٤٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٧٤٢).

(٢) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

المجلس الثالث والعشرون
الرجاء «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لما خرج يونس -عليه الصلاة والسلام- من قومه مُغَاضِبًا، وركب في الفلك المشحون، كادت السفينةُ أن تغرقَ بهم، فوضعوا القرعةَ بينهم وفي كل مرة تخرج على يونس -عليه الصلاة والسلام- فألقى بنفسه في البحر، وإذا بالحوت يَلْتقمُه، فلما استقرَّ الحوتُ في وَسَطِ البحرِ؛ أصبح -عليه الصلاة والسلام- في ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، في مكان لا يعلم ولا يراه أحد إلا الله -جل جلاله- ورغم هذه الظلمات الثلاث إلا أن رجاءه بربه -عليه الصلاة والسلام- كان يملأ صدره، ويعمر قلبه، حينها دعا الله دعاء من يرجو عفو ربه وفرجه:

[لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ].

فجاءه الفرجُ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

ويعقوب -عليه الصلاة والسلام- الذي فقد ابنه يوسف -عليه الصلاة والسلام- سنين عددًا، وبعد ذلك فقد ابنه بنيامين.

قال لأبنائه قولَ مَنْ يرجو فرج ربه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣]، وحث أبناءه على عدم اليأس من روح الله فقال: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

إن الرجاءَ من أجلِّ أعمالِ القلوبِ وأعظمِها؛ فهو أحدُ أركانِ العبادةِ، كما أنه أحدُ جَنَاحَي القلبِ في سيره إلى الله -جل جلاله.

وهذه العبادةُ القلبيةُ أخذت عظمتَها من عظمة منشئها؛ وهو العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله.

والرجاء: هو الاستبشار بجود وفضل الرب -تبارك وتعالى- والارتياح لمطالعة كرمه.

ورجاء الله -جل جلاله- له أهمية عظيمة في حياة المسلم؛ ومن ذلك:

١- أن الرجاء في قلب العبد يدلُّ على الإيمان، والعكس كذلك، ولكن بقدر قوة الإيمان يكونُ قوةُ الرجاء؛ وبقدر الرجاء في القلب يكونُ نفيُ اليأس من روح الله، والقنوط من رحمته.

قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى:

(ودلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ بِحَسَبِ إِيمَانِ الْعَبْدِ يَكُونُ رَجَاؤُهُ لِرَحْمَةِ الله وَرُوحِهِ)[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٠٤).

٢- أن الرجاء في قلب العبد سبب لمحبة العبد لربه؛ إذ لا يمكن أن يكون العبد راجيًا إلا أن يكون محبًّا لله.

٣- أن الرجاء في قلب العبد يدعوه للعمل الصالح؛ لما يرجو من الأجر والمثوبة في الدنيا، والجنة في الآخرة.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

أما مَنْ يعتقدُ أنه يرجو الله دون عمل صالح، فذاك هو التمني وليس الرجاء.

٤- أن الرجاء في قلب العبد يدعوه إلى التوبة والإنابة، فكلما وقع في الذنب علم أن له رَبًّا يغفر الذنوب، فيتوب إليه.

قال -تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٥- أن الرجاء في قلب العبد سببٌ لتفريج الكربات، وإقالة العثرات، ومغفرة الزلات.

لقول الله -تعالى- في الحديث القدسي: **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)**[1].

٦- أن الرجاء في قلب العبد سبب لقرب العبد من ربه وتعلقه به، فهو منقطع عن سواه، محسن الظن به متوكل عليه.

٧- أن الرجاء في قلب العبد ينفي عنه اليأس من روح الله، والقنوط من رحمته.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

٨- أن الرجاء في قلب العبد سببٌ لانشراح صدره واطمئنانِ قلبه، فهو ثابت لا تزعزعه الكروب ولا توهنه الخطوب.

٩- أن الرجاء في قلب العبد سببٌ للعدلِ والتوسطِ؛ إذ الرجاءُ يوازن الخوف في القلب فلا إفراطَ ولا تفريطَ، فالخوفُ والرجاءُ متلازمان، ومُكمِّلان لبعضِهما.

فلو وَجَدَ في القلب الرجاءَ وحده لكان سببًا للتواكل وتَرْكِ العمل.

كما أن الخوفَ وحدَه سببٌ للقنوط من رحمة الله واليأسِ من رُوحِه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الرابع والعشرون
الرجاء «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

سَأُورِدُ بعض الآيات والأحاديث الدالة على عبودية الرجاء:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقال سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لَمَّا خَلَقَ الله الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : "إن رَحْمَتِي تَغْلِب غَضَبِي** »(١).

وعن عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبيٌ، فإذا امرأة من السَّبي تحلبُ ثديها تسقي، إذا وَجَدتْ صبيًا في السَّبي أخذته فألصقتهُ ببطنِها وأرضعتْهُ، فقال النبي ﷺ: « **أَتَرَوْن هَذِه طارحةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**"، قلنا: لا، وهي تقدرُ على أن لا تطرحَه، فقال: " **للهُ أَرْحَم بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا** »(٢).

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **إِنَّ للهَّ مِئَة رَحِمَةٍ أَنْزَلُ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامّ ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْش عَلَى وَلَدِهَا ، وأَخَّر اللهَّ تسعًا وَتِسْعِين رحمةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »[1].

بعض فوائد الرجاء:

١- إظهارُ العبوديةِ والفاقةِ والحاجةِ إلى ما يرجوه العبدُ من ربه، ويترقبه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين.

٢- أنه -سبحانه- يحب من عباده أن يؤمِّلوه ويرجوه، ويسألوه من فضله.

٣- أن الرجاءَ حادٍ يحدو بالعبد في سيره إلى الله، ويُطَيِّبُ له المسيرَ، فلولا الرجاء لما سار أحد؛ فإن الخوف وحده لا يُحَرِّكُ العبدَ، وإنما يحركه الحبُّ، ويزعجه الخوفُ، ويحدوه الرجاءُ.

٤- أن الرجاءَ يطرحُه على عتبةِ المحبةِ، ويُلْقِيه في دِهْلِيزِهَا؛ فإنه كلما اشتد رجاؤه، وحصل له ما يرجوه، ازداد حبًّا لله -تعالى- وشكرًا له، ورضا به وعنه.

٥- أنه يَبْعثُ العبدَ على أعلى المقاماتِ، وهو مقامُ الشكرِ، الذي هو خلاصةُ العبوديةِ، فإنه إذا حَصلَ له مرجوه كان أدعى لشكره.

٦- أنه يوجِبُ للعبدِ المزيدَ من معرفة الله؛ أسمائه ومعانيها، والتعلق به، فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى، متعبد بها، داعٍ بها.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٠٠) ومسلم (٢٧٥٢).

٧- أن في الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تَعَلُّقُ القلبِ بذكرِهِ، ودوامُ الالتفاتِ إليه بملاحظة أسمائه وصفاته[1].

وفي نهايةِ الحديثِ عن هذه العبادةِ العظيمةِ تجدرُ الإشارةُ إلى أمرٍ مهمٍ جدًّا، وهو أن حقيقة الرجاء تكون:

أ. لِمَنْ قصَّرَ في حقِّ الله، فَتابَ وأَنَابَ، فهو يرجو عفوَ ربه، وغفران ذنبِه.

ب. لِمَنْ فَعَلَ الطاعةَ والأعمالَ الصالحاتِ، فهو يرجو الثوابَ والأجرَ في الدنيا، والجنةَ في الآخرة.

أما مَنْ أسرفَ على نفسهِ بالمعاصي والذنوب، ثم إذا قيل له: اتق الله وأقلع عما أنت فيه، قال: أنا أُحْسِنُ الظنَّ بالله، وأرجو رحمته، فهذا في الحقيقة غرور، وليس برجاءٍ!

فإن الله -جلَّ وعلا- يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فأمره الله -جل وعلا- بالعمل الصالح مع الرجاء لما عنده -سبحانه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر مدارج السالكين (٢/٢٤٠- ٢٤١).

المجلس الخامس والعشرون
تعظيم الله جل جلاله «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أتى رسولَ الله ﷺ أعرابيٌّ فقال: «يا رسولَ الله، جَهَدتْ الأنفسُ، وضَاعتْ العيالُ، ونُهكتْ الأموالُ، وهلكتْ الأنعامُ، فاستسق الله لنا؛ فإنا نستشفعُ بك على الله، ونستشفعُ بالله عليك، قال رسول الله ﷺ: **وَيْحَك ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟!** وسَبَّحَ رسولُ الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: **وَيْحَك ! أَنَّهُ لَا يُسْتَشْفعُ بِالله عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ الله أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيْحَك ! أَتَدْرِي مَا اللهُ ؟ أَنَ عَرْشُهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا » وَقَال بِأَصَابِعِه مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْه»**(١).

إن تعظيمَ اللهِ -جل جلاله- من أهمِّ أعمال القلوبِ وأجلِّها؛ التي يتعيَّنُ تَحقيقُها والقيامُ بها، وتربية الناس عليها؛ خاصة في هذه الأزمنة التي ظهر فيها ما يخالف تعظيم الله -جل جلاله- ومن ذلك:

١- الإسرافُ في المعاصي والذنوب واستمراؤها حتى أصبحتْ والعياذ بالله من عادات بعض المجتمعات، ويومياتُ كثيرٌ من أفرادها.

---

(١) رواه الترمذي رقم (٤١٦٤) قال الذهبي: إسناده صحيح.

كما قال -جل جلاله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

٢- الاستخفافُ والاستهزاءُ بشعائرِ الدين، والتسفيهُ والازدراءُ لدينِ الله تعالى وأهلِه؛ من قِبَلِ المنافقين على اختلاف مسمياتهم.

٣- عدمُ تقديسِ وتعظيمِ نصوصِ الكتابِ والسنةِ؛ وتقديم العقول وآراء الرجال عليها؛ من قِبَلِ أهلِ الأهواءِ والفرقِ الضالةِ، وأهل الزيغ والضلال من المنافقين وأضرابهم.

وهذه الظاهرة نسألُ الله العافيةَ قد سَرَتْ إلى بعض عامة المسلمين، فتلوثوا بلوثات أهل الزيغ والضلال؛ وتأثروا بها؛ نسأل الله لنا ولهم الهداية والثبات على دينه.

وأما (حقيقة التعظيم) فيوضحُها الشيخُ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى:

(وأعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله -وحده- نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه، فله العلمُ المحيطُ، والقدرةُ النافذةُ، والكبرياءُ، والعظمةُ، ومن عظمتِه أن السماواتِ والأرضَ في كفِّ الرحمنِ أصغرُ من الخردلةِ، كما قال ذلك ابنُ عباسٍ وغيرهُ، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي الصحيح عنه ﷺ: " **إِنَّ اللهَّ يَقُولُ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي واحدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ**[1]"، فلله تعالى الكبرياء والعظمة، والوصفان اللذان لا يقدر قدرهما، ولا يبلغ كنههما.

النوع الثاني: من معاني عظمته -تعالى: أنه لا يَستْحقُ أحدٌ من الخلق أن يُعظَّمَ كما يُعظَّمُ الله؛ فيستحقُّ -جلَّ جلاله- من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم؛ وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذلِّ له، والانكسارِ له، والخضوعِ لكبريائِه، والخوفِ منه، وإعمالِ اللسانِ بالثناءِ عليه، وقيامِ الجوارحِ بشكرِه وعبوديتِه.

ومن تعظيمه: أن يُتَّقى حقَّ تقاتِه؛ فيطاعُ فلا يُعْصَى، ويُذْكرُ فلا يُنْسَى، ويُشْكرُ فلا يُكْفرُ.

ومن تعظيمه: تعظيم ما حرَّمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢]، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠].

ومن تعظيمه: أن لا يُعْترَضَ على شيء مما خَلقَه أو شَرعَه)[2].

وتعظيمُ الله -جل جلاله- ومحبتُه هما روحُ العبادة، وعلى قدر علم العبد بربه وبأسمائه وصفاته وأفعاله يكونُ قدرُ تعظيمِه في القلب، فَأَعْرفُ الناسِ به -جل جلاله- أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٢٠).

(٢) الحق الواضح المبين ص (٢٧- ٢٨).

(٣) انظر مدارج السالكين (٢/٤٩٥).

وتعظيم الله -جل جلاله- في قلب المؤمن له أهمية بالغة في حياته، ويتلخص ذلك في عدة أمور؛ منها:

١- أن توحيدَ الله -جل جلاله- في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، مبنية على التعظيم، ومَنْ قصَّرَ في شيء من ذلك فما عظَّمَ اللهَ حقَّ تعظيمِه، وما قدَّره حقَّ قدرِه.

٢- (أن العباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له، والمراقبة لله في السر والعلانية)[١].

٣- أن تعظيمَ الله ﷻ هو الأساسُ الذي تبنى عليه كثير من أعمال القلوب التي تقوم عليها العبودية لله ﷻ، كالمحبةِ والحياءِ والخوفِ والرجاءِ والإخلاصِ واليقينِ، وبقدر قوة أو ضعف تعظيم الله ﷻ في القلب تقوى أو تضعف هذه الأعمال[٢].

٤- أن تعظيمَ الله -جلَّ جلاله- في قلب العبد سببٌ للسعي للطاعات والمسارعة للقربات؛ لأن المعظم لله -جل جلاله- معظم لأوامره، ساعٍ إلى مرضاة ربه.

٥- أن تعظيمَ الله -جلَّ جلاله- في قلب العبد سببٌ لتعظيمِ الحرماتِ، فهو تاركٌ للمَعاصي والمنكرات، ولو وقع في شيء من ذلك بادر للتوبة والإنابة والاستغفار؛ تعظيمًا لله -جل جلاله.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠].

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى:

---

(١) انظر: الإيمان لابن منده (١/٣٠٠).

(٢) انظر: وما قدروا الله حق قدره لعبد العزيز الجليل ص (١٤).

(وكفى بالمعاصي عقوبةً أن يَضْمَحلَّ مِنْ قلبهِ تعظيمَ الله -جل جلاله- وتعظيمَ حرماتِه، ويَهُونَ عليه حقُّه)[1].

٦- أن تعظيم الله -جل جلاله- في قلب العبد سبب من أسباب حفظ قلبه من الشبهات، فإن المؤمنَ المعظمَ لربه معظمٌ لنصوص الكتابِ والسنةِ، ومن تعظيم نصوص الوحيين أن يردَّ متشابِهَهُ إلى مُحكمِه، ولا يكون كمَنْ ذمَّهم الله ﷻ بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقال عنهم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[آل عمران: ٧].

٧- أن تعظيمَ اللهِّ -جلَّ جلاله- في قلب العبد سببٌ للخشوع في الصلاة؛ التي هي عمودُ الدينِ، وهي أولُ ما يُسألُ العبدُ عنه يوم القيامة، فإن صَلَحَتْ صَلَحَ سائرُ عملِه، وإن فَسَدتْ فَسَدَ سائرُ عملِه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الجواب الكافي ص(٦٩).

المجلس السادس والعشرون
تعظيم الله جل جلاله «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

(قَالَ جَعْفَرُ بنِ عَبْدِ الله : "كنا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهَّ، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كَيْفَ اسْتَوَى ؟ فَمَا وَجَد مَالِكٍ مِنْ شَيْءٍ مَا وُجِدَ مَنْ مَسْأَلَتِهِ ، فَنَظَرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ يَنْكُتُ بعودٍ فِي يَدِهِ ، حَتَّى عَلَاه الرُّحَضاءُ -يعني : العرقُ- ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَرَمَى الْعَوْدَ، وَقَال: الْكَيْفُ مِنْهُ غيرَ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ ، وأظنك صَاحِبَ بِدْعَةٍ ، وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ)[1].

وسأذكرُ بعضَ الآيات والأحاديث والآثار الدالة على تعظيم الله -جل جلاله:

قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾.

ذكرت هذه الآية في ثلاثة مواطن في القرآن الكريم.

---

(١) حلية الأولياء (٦/٣٢٥).

الأول: قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

الثاني: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

الثالث: قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[الأنعام: ٩١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- عن هذه الآيات الثلاثة:

(وَاَللَّهُ -سبحانه- قَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ: ﴿وَمَاقَدَرُواْاللَّهَحَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

- ❖ لِيُثبتَ عَظَمَتَه فِي نَفْسِهِ ، وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ الصِّفَاتِ.
- ❖ وليثبت وَحْدَانِيَّتِه ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إلَّا هُوَ.
- ❖ ولِيُثبتَ مَا أَنْزَلَهُ عَلَى رِسْلِهِ.

وَفِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ ذَمَّ الَّذِين مَا قَدَّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ مِنْ الْكُفَّارِ ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يقدِّرَ اللهُ حَقَّ قَدْرِهِ ، كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَهُ حَقَّ تُقَاتِهِ ، وَإِن يُجَاهِدَ فِيهِ حَقِّ جِهَادِهِ)[1].

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٣٧/٢) باختصار.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: "جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَجِدُ إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالْمَاء الثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ ، فَيَقُول : أَنَا الْمَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ؛ تصديقًا لِقَوْلِ الْحِبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧]. (١).

عن ابن عمر مرفوعًا: "يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْن الْجَبَّارُون؟ أَيْن الْمُتَكَبِّرُون؟ ثُمّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ السَّبْعَ، ثُمّ يَأْخُذُهُنّ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْن الْجَبَّارُون؟ أَيْن الْمُتَكَبِّرُون؟"(٢).

من ثمرات تعظيم الله -جل جلاله:

١- محبةُ الله -جل جلاله- للمعظمين له المخبتين لجلاله؛ ذلك أن قلوبَهم هي أحبُّ القلوب إلى الله وأقربها له.

٢- محبة الخلق للمعظمين لربهم، ووضع القبول لهم في الأرض.

قال ﷺ: « **إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عبدًا دَعَا جِبْرِيل ، فَقَال : إِنِّي أُحِبُّ فلانًا فَأَحِبَّه ، قَال : فَيُحِبُّه جِبْرِيل ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُول : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فلانًا، فَأَحِبُّوه ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَال : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**»(٣).

---

(١) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٨).

(٣) رواه مسلم (٢٦٣٧).

٣- السكينةُ والطمأنينةُ، وانشراحُ الصدر؛ ذلك أن المعظمين لله -جل جلاله- قلوبهم متعلقة بربهم، محسنة الظن به، مفوضة أمرها إليه.

٤- حلاوةُ الإيمان ولذتُه تغمرُ قلوبَ المعظمين لله -جل جلاله- والفرح والسرور يملأ صدورهم؛ ذلك أنهم عظموا أوامر الله وشرعه وقاموا بها على أكمل وجه، وعظموا حرمات الله، فاجتنبوها؛ فأعقبهم ذلك حلاوة الطاعات ولذتها.

٥- نزول رحمة الله على المعظمين له ﷻ، وتفريج كرباتهم وإجابته لدعواتهم، ونصرهم على أعدائهم.

٦- دخول الجنة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠].

قال الطبري -رحمه الله تعالى:

(وَمَن يَجْتَنِبُ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِاجْتِنَابِه فِي حَالِ إِحْرَامِهِ ؛ تعظيمًا مِنْه لِحُدُودِ اللهِ أَنْ يواقعها وَحُرْمَة أَن يَسْتَحِلَّهَا ، فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ فِي الْآخِرَةِ)[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تفسير الطبري (١٨/٦١٨).

المجلس السابع والعشرون
الافتقار إلى الله جل جلاله «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد كان رجلًا شديد القوة عظيم البأس، قتل رجلًا بضربة واحدة بيده، وخرج من بلده لوحده، قطع فيافيَ وقفارًا على قدميه، يسير في هجير النهار، ويسري في ظلام الليل لا يخشى أحدًا إلا الله.

ولما وصل إلى البلد التي يقصدها وقد بلغ به الجوع والنصب مبلغه، استطاع رغم جوعه وتعبه ونصبه أن يحمل صخرة لا يحملها إلا العصبة من الرجال أولي القوة.

ثم أوى إلى الظل، وقال بعدما تضاءلت قوته وبأسه أمام قوة الله -جل جلاله- وجبروته، وسأل الله بقلب مفتقر متذلل منكسر:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

جاءه -عليه الصلاة والسلام- الفرجُ عاجلًا: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

فأعقب الله -جل وعلا- بالفاء في **قوله:** ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ الدالة على الترتيب والتعقيب المباشر.

فجاءه الأمنُ إذ كان خائفًا: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

وجاءته الزوجة إذ كان عزبًا: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧].

وجاءه الرزقُ برعيه الغنم: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وجاءه المسكن والمأوى بلبثه في مدين عشر سنين: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ [القصص: ٢٧].

فما أعظَمه من دعاءٍ وما أسرعَها من إجابةٍ.

إن الافتقارَ إلى الله -جل جلاله- من أعظم أعمالِ القلوبِ وأجلِّها، فله المنزلة العالية، والدرجة الرفيعة؛ إذ هو روح الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، فأعمال وأقوال لا روح لها، هي موات لا نفع لها.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- مبينًا منزلة الافتقار إلى الله -جل جلاله: (هُوَ حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ ولبُّها)[1].

ومن هذا المعنى الدقيق لمنزلة الافتقار، نخلص إلى أمرين هما:

١- أن العبدَ لا يمكنُ أن يحقِّقَ معاني العبودية لله -جل وعلا- حتى يحقق معاني الافتقار إلى الله -جل جلاله- ظاهرًا وباطنًا، فبقدر تحقيقه لمعاني الافتقار يكون علوه في مدارج العبودية وبقدر تقصيره في ذلك تكون منزلته في العبودية.

(١) مدارج السالكين (٣/٢٨٦).

٢- أن الافتقار إلى الله -جل وعلا- هو روح أنواع العبادة، وبقدره في قلب العبد يكون أثرها عليه في أمور دينه ودنياه.

تعريف الافتقار إلى الله -جل وعلا:

الافتقار إلى الله -جل جلاله: هو أن يشهدَ العبدُ ويشعرَ بفقره وفاقته وحاجته لربه وأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، فلا يتعلق قلبه إلا بالله ولا يعتمدُ على أحد إلا الله، ولا يثقُ بأحد من الناس حتى نفسِه التي بين جنبيه، ويفوضُ أمرَه كلَّه إلى الله.

فهو فقير إلى الله غني به عمن سواه.

وهذا الشعور يكون دائمًا في كل لحظة من لحظات عمره، ويكون ذلك في كل شأنِه وأمرِه الديني والدنيوي.

أهمية الافتقار إلى الله -جل جلاله- في حياة المسلم، تكون في عدة أمور؛ منها:

١- أن الافتقار إلى الله -جل جلاله- لبُّ العبودية وروحُها، وعلى قدر قيام القلب يكون درجته في مدارج العبودية ومنازلها.

٢- أن الافتقار إلى الله -جل جلاله- سببٌ للتواضع وزوالُ الكبرِ والاستغناءِ والطغيانِ من قلب العبد.

قال -تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦-٧].

٣- أن الافتقار إلى الله -جل جلاله- سبب لتعلق العبد بربه، والاعتماد عليه.

قال ﷺ: (وَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ) [١].

ومن صَدَقَ اللجأَ إلى الله حفظه ونصره وأيده؛ وفرَّج كربتَه، وأجاب دعوتَه.

٤- أن الافتقار إلى الله جل جلاله سبب لتضرع العبد وذله واستكانته لربه.

٥- أن الافتقار إلى الله -جل جلاله- سبب لقرب العبد من ربه والأنس والفرح به ولذة مناجاته.

٦- أن الافتقار إلى الله -جل جلاله- سبب لكثرة الطاعات والمسارعة إليها.

٧- أن الافتقار إلى الله -جل جلاله- سبب لترك الذنوب والمعاصي والحذر منها، وإن اقترف ذنبًا بادر بالتوبة والاستغفار.

٨- أن الافتقار إلى الله -جل جلاله- سبب لمحبة العبد لربه -جل جلاله؛ لما يرى من جميل لطفه به، وكرمه عليه، والعناية به.

٩- أن الافتقار إلى الله -جلا جلاله- سبب لمحبة الله لعبده، فالقلوب المفتقرة لربها المتضرعة له المنكسرة بين يديه هي من أحب القلوب إلى الله -جل جلاله-.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه النسائي (١٠٤٠٥)؛ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٦١).

المجلس الثامن والعشرون
الافتقار إلى الله جل جلاله «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أوصى ابن قدامة -رحمه الله- أحد إخوانه قائلًا: (وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ هُوَ فِي الْبَحْرِ عَلَى اللَّوْحِ لَيْس بِأَحْوَج إلَى اللهَّ وَإِلَى لُطْفِه مِمَّنْ هُوَ فِي بَيْتِهِ بَيْنَ أَهْلِهِ وَمَالَهُ ، فَإِذَا حَقَّقْت هَذَا فِي قَلْبِك فَاعْتَمِدْ عَلَى الله اعْتِمَادَ الْغَرِيقِ الَّذِي لَا يُعْلَمُ لَهُ سَبَبُ نَجَاةٍ غَيْرَ الله)[1].

إن الناس على تفرق أديانهم، وتشتت مذاهبهم وتعدد مشاربهم، وتنوع أجناسهم، واختلاف مستوياتهم، كلهم في فقرهم إلى الله -جل جلاله- سواء.

فالمسلم والكافر، والرجل والمرأة، والكبير والصغير، والعالم والجاهل، والطائع والعاصي، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والذكي والبليد، والوجيه والوضيع، والرئيس والمرؤوس، والصحيح والمريض، والمعافى والمبتلى؛ كلهم في افتقارهم إلى الله -جل وعلا- سواء.

قد يَشْعرُ الفقيرُ والضعيفُ والبليدُ والمريضُ والمبتلى وغيرُهم بفقرهم إلى الله -جل وعلا- فيُلجِئُون إليه -تبارك وتعالى- لرفع ما هم فيه من

(١) الوصية المباركة ص (٧٧).

حرج وضيق وبلاء من جانب، ولتيسير أمورهم الدينية والدنيوية من جانب آخر.

كما أن الغنيَّ والعالمَ والمستقيمَ على الطاعاتِ والقوي والذكي والوجيه وغيرهم، هم في فقرهم إلى الله -جل وعلا- سواء مثل أضدادهم وإن غفلوا عن ذلك، فغفلتهم لا تَرْفعُ عنهم حقيقَة فقرهم؛ ذلك أن هذه النعم التي مَنَّ الله جل وعلا بها عليهم هم فقراء إلى الله فيها من عدة جوانب:

١- فقراءٌ إلى الله؛ ليعينَهم على شكرها لتبقى ولا تزولُ، ويبارك الله لهم فيها: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ٧].

٢- فقراءٌ إلى الله؛ ليعينهم على الاستفادة من هذه النعم كما ينبغي.

فكم من نعمة بقيت بلا فائدة لم تستغل ولم يستفد منها!

٣- فقراءٌ إلى الله بأن يجعلَ هذه النعم حُجةٌ لهم لا عليهم.

فكم من نعمة كانت سببًا في الطغيان والتكبر والفخر والظلم، ثم سببًا في الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

سأذكرُ بعضَ الآيات والأحاديث والآثار الدالة على فقر العبد لربه وحاجته وفاقته إليه؛ فمن ذلك:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وقال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤].

وعن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه -تبارك وتعالى- قال:

«**يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نفسي وَجَعَلْتُهُ بَيْنكُمْ محرمًا فَلَا تَظَّالَمُوا ، يَا عِبَادِي ، كُلُّكُم ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَديتُه فاستهدوني أَهْدِكُم ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُم جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُه فاستطعموني أطعمْكم ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُم عارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُه فاستكسوني أَكْسِكُمْ**»[(١)].

وقال ﷺ: « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك** »[(٢)].

تحقيق الافتقار إلى الله -جل جلاله- في قلب المؤمن:

لا يتحققُ الافتقارُ إلى الله -جل جلاله- في قلب المؤمن إلا بأمرين، وقد ذكرهما الله -تعالى- في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

فالأمران هما:

أولًا: عِلْمُ العبدِ علمًا لا يعتريه غفلةٌ ولا نسيانُ بعظمة الله جل جلاله وعُلاه وكبريائه وجبروته، وأنه -جل جلاله- غني عن عباده غنًى تامًّا من كل وجه.

الثاني: عِلْمُ العبدِ بضعفهِ وعجزهِ وفقرهِ وحاجتهِ، علمًا لا يعتريه غفلةٌ ولا نسيانٌ، وأنه لا يملك من نفسه شيئًا إلا أن يتداركه الله برحمته وفضله وجوده وإحسانه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم (٥٧٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٣٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٠٩٢).

المجلس التاسع والعشرون
التضرع إلى الله جل جلاله «١»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف وأصحابه ثلاثمئة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: **"اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ "فما زَال يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مادًّا يَدَيْه ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَال: يَا نَبِيَّ اللهِّ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ)**[1].

إن التضرع إلى الله -جل جلاله- من أعظم أعمال القلوب وأجلِّها؛ لذا كان له المنزلةُ العاليةُ والمكانةُ الرفيعةُ في الدين.

ومما يبين أهمية التضرع إلى الله في حياة المؤمن ما يلي:

١- أن التضرع إلى الله -جل وعلا- والذل والانكسار بين يديه من أقرب الأبواب وصولًا إلى محبته -سبحانه وتعالى.

٢- أن التضرع إلى الله -جل وعلا- هو روح الذكر والدعاء، فذكر ودعاء لا روح فيها موات لا أثر لهما ولا ثمرة.

---

(١) رواه البخاري (٣٩٥٤)، ومسلم (١٧٦٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى:

(وَتَأَمَّلْ كَيْفَ قَالَ فِي آيَةِ الذِّكْر: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ الآية[١]،وَفِي آيَةِ الدُّعَاء: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الآية[الأعراف: ٥٥]، فَذَكَر التَّضَرُّع فِيهِمَا معًا؛ وَهُوَ التَّذَلُّل، والتمسكن، وَالِانْكِسَار، وَهُو رَوْحُ الذِكر وَالدُّعَاء)[٢].

٣- أن التضرع إلى الله -جل وعلا- من أهم الأسباب وأقرب الطرق لاستجابة الدعاء، ورفع البلاء، وجبر القلوب، وإغاثة الملهوف.

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى:

(فَمَا أَقْرَبَ الْجَبْرَ مِنْ هَذَا الْقَلبِ الْمَكْسُور! وذرةٌ مِنْ هَذَا وَنَفَسٌ مِنْهُ أَحَبُّ إلَى الله مِنْ طَاعَات أَمْثَالُ الْجِبَالِ مِنْ الْمُدلين المعجبين بِأَعْمَالِهِم وَعُلُومَهُم وَأَحْوَالِهِم)[٣].

حقيقة التضرع إلى الله -جلَّ وعلا:

والتضرع: هو التذلل والتمسكن والانكسار لله -جل جلاله[٤].

والتضرع إلى الله -جل جلاله- من أعمال القلوب التي يتعبد المؤمنُ بها لله في سائر يومه وليلته؛ لأن التضرع إلى الله -جل وعلا- هو روح ولب الذكر والدعاء، والمؤمن الصادق مشتغل في يومه وليلته بين ذكر مقيد أو مطلق، أو دعاء عبادة أو مسألة، والتضرع ملازم لهما.

---

(١) أي في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ [الأعراف (٢٠٥)].

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٩-٢٠).

(٣) مدارج السالكين (٧٣٦/١).

(٤) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ١٩).

والناسُ متفاوتون بقيامهم بعبودية التضرع إلى الله -جل جلاله- فبقدر استحضارِهم عظمةَ الله وجلالَه وقدرَه وكبرياءه في قلوبهم، يكونُ مشهدُ التضرعِ والخضوعِ والذلِ والانكسارِ بين يدي الله -جل جلاله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الثلاثون
التضرع إلى الله جل جلاله «٢»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

(كان الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى- إمامًا من أئمة هذه الأمة وعلمًا من أعلامها، وقد ابتلاه الله -جلَّ وعلا- بولد فيه نزقُ الشبابِ وطَيْشهُ، وقد اجتهد -رحمه الله- في تعليمه وتأديبه، ولكنه عجز عن ذلك.

فقام -رحمه الله تعالى- بين يدي ربه متضرعًا متذللًا منكسرًا مفتقرًا لله -جل وعلا- متجردًا من كل أحد سواه -جل شأنه- داعيًا: (اللَّهُمَّ إِنِّي اجْتَهَدْت أَن أؤدِّبُ عليًّا ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى تَأْدِيبِهِ فأدبه أَنْت لِي)[1].

فهدى الله -جل وعلا- بفضله وجوده عليًّا، وعُدَّ من عُبَّادِ السلفِ، وما مات -رحمه الله- إلا وهو يصلي.

قال الذهبي -رحمه الله تعالى- عنه في ترجمته:

(مِنْ كِبَارِ الْأَوْلِيَاء ، مَاتَ قَبْلَ وَالِدِهِ ، قُلْت : خَرَجَ هُوَ وَأَبُوهُ مِنْ الضَّعْفِ الْغَالِبَ عَلَى الزُّهاد وَالصُّوفِيَّة ، وعُدَّا فِي الثِّقَات إجماعًا ، وَكَان عليٌّ قانتًا لله، خاشعًا ، وجلًا ، ربانيًّا كَبِيرَ الشَّأْنِ)[2].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/٤٤٥).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٤٤٢-٤٤٣).

وقفة:

فلكل رجل ابتلاه الله بولد عاق، أو مسرف على نفسه بالمعاصي، ولكل بيت ابتلي بنشوز الزوج أو الزوجة؛ وصدودهما عن بعضهما، عليكم بصدق التضرع إلى الله -جل وعلا- والانكسار بين يديه، وصدق التجرد لله -جل وعلا- فإنه قريب مجيب.

التضرع إلى الله -جل جلاله- في القرآن الكريم:

لقد ذكر الله -تعالى- التضرعَ في عدة آياتٍ من القرآن الكريم، وهذه الآيات ترجع إلى ثلاثة أمور مهمة في حياة المؤمن؛ هي:

أولًا: التضرع إلى الله -جل جلاله- عند الدعاء.

ثانيًا: التضرع إلى الله -جل جلاله- عند الذكر.

ثالثًا: التضرع إلى الله -جل جلاله- عند البأساء والضراء، وعند المصائب والكروب.

أولًا: التضرع إلى الله -جل جلاله- عند الدعاء:

قال -تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾[الأعراف: ٥٥].

إن التضرع إلى الله -جل جلاله- عند الدعاء له أثـرٌ في إجابـة الـدعاء وكشف البلاء، فمـن لم تُجـب دعوتـه وتكشـف كربتـه، فليراجـع صـدق تضرعه إلى الله؛ لأنه روح الدعاء، فدعاء بلا روح غير مقبول.

وسأضرب مثلًا من حياته ﷺ في صدق تضرعه :

فقد قضى رسول الله ﷺ عشية يوم عرفه في حالة من التضرع واللهج بالدعاء، حتى ظن أصحابه أنه قد صام يومه ذلك، فأَرسَلتْ إليه أم الفضل بقدح لبن، وهو واقف على بعيره، فشرب منه والناس ينظرون إليه، وكان في دعائه رافعًا يديه إلى صدره، حتى رؤي بياض إبطيه، باسطًا كفيه كاستطعام المسكين، منكسرًا لربه ﷻ خاضعًا خاشعًا متذللًا له، مستغرقًا في مناجاته.

ثانيًا: التضرع إلى الله -جل جلاله- عند الذكر:

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

إن التضرعَ إلى الله والتذللَ والانكسارَ لله -جل وعلا- عند الذكر سبب لحلاوة الإيمان والأنس والطمأنينة، وسبب للمسارعة للطاعات والقربات، فمن لم يجد حلاوة الذكر والطمأنينة، فليراجع صدق تضرعه لله -جل جلاله- عند ذكره لربه؛ ذلك لأن التضرع روح الذكر، وذكر لا روح له، لا حلاوة ولا أثر له.

وسأذكر مثالاً على التضرع عند الذكر:

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله يُصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء ﷺ(١).

ثالثًا: التضرع إلى الله -جل جلاله- عند البأساء والضراء، وعند المصائب والكروب:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

إن التضرع إلى الله -جل وعلا- والتوبة والإنابة إليه من الذنوب الخاصة والعامة التي فَشَتْ في بعض المجتمعات حتى أصبحتْ من عادات المجتمع وثقافته من أعظم الأسباب لاتِّقاء غضب الله -جل جلاله- وسخطه، ومن أعظم الأسباب كذلك في دفع البلاء قبل وقوعه، وكشفه ورفعه بعد وقوعه، سواء الأفراد والمجتمعات.

وسأضرب مثلًا من سيرته ﷺ وهو الذي غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ لِيتبينَ لنا كيف كان تضرعُه عند نزول الكروب والشدائد:

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (انكسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة، وقام الذين معه،

(١) رواه أبو داود (٩٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ص (٥٤٤).

فقام قيامًا فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع ... فجعل ينفخ في آخر سجوده من الركعة الثانية ويبكي ويقول: **"لَمْ تَعِدْنِي هَذَا وَأَنَا فِيهِمْ، لَمْ تَعِدْنِي هَذَا وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ"**، ثم رفع رأسه وانجلت الشمس)[1].

من ثمرات التضرع إلى الله -جل جلاله:

١- أن التضرع إلى الله -جل جلاله- هو أوسعُ الأبوابِ وأقربُها إلى محبة الله -سبحانه وتعالى- لعبده.

٢- قرب الله ﷻ من أصحاب القلوب المتضرعة المنكسرة في ذكره ودعائه؛ وهذا القرب يقتضي النصرة والتأييد، وإجابة الدعوات والقبول والإثابة.

٣- أن التضرع إلى الله -جل جلاله- هو روح الدعاء والذكر ولبُّها، وبه يجد الداعي والذاكر في قلبه حلاوة الإيمان والطمأنينة والأنس واللذة، كما يجد أثر ذلك على روحه وبدنه، بل وأثره في حياته كلها.

٤- أن التضرع إلى الله -جل وعلا- في الدعاء سبب عظيم في قرب الإجابة، وتعجيل الرزق والنصر، وكشف الكرب، وإقالة العثرة.

٥- أن التضرع إلى الله -جل وعلا- من أعظم الأسباب للوقاية من عذاب الله وسخطه قبل وقوعه، ومن رفعه بعد وقوعه.

٦- أن التضرع إلى الله -جل جلاله- من أسباب السعادة في الآخرة بدخول الجنة، والنجاة من النار.

---

(١) رواه النسائي (١٤٨٢)، انظر: صحيح سنن النسائي (١٤٨١).

الأسباب المعينة على التضرع إلى الله -جل جلاله:

١- معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا؛ لأن العبد من خلالها يعرف عظمةَ الله وقدرتَه وجلاَله وكبرياءَه، وهذا يثمر في قلبه الخضوع والتضرع والتذلل له -جل جلاله.

٢- نظر العبد في عيوب نفسه، ونقصه وفقره وحاجته لربه -جل وعلا- وهذا يثمر في القلب التضرع والتذلل لله رب العالمين.

٣- الحذرُ كلَّ الحذرِ من أهل الشهوات والشبهات والأهواء الذين يفسرون ما يحدث من كوارثَ وزلازلَ، وكثرةِ وقوع ظاهرة كسوف الشمس وخسوف القمر، وقحطِ وجدب وفيضانات، ونقصٍ في الأموال والأنفس والثمرات، وغلاءٍ في الأسعار، وغيرها من الابتلاءات التي وقعت وتقع في مجتمعهم أو من حولهم يفسرونها بتفسيرات طبيعية دنيوية بحتة، دون النظر إلى سنن الله ﷻ في معاقبته العصاةَ والظالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا مباركًا فيه كما يليقُ بجلاله وعظيم سلطانه، ثم الحمد له على نعمه الجليلة وآلائه الجسيمة؛ ومن ذلك ما يسر -جلَّ جلالُه- لي من جمع -وإن كان يسيرًا- في هذا الموضوع العظيم الذي يحتاجه المؤمنُ في سائرِ حياته كلِّها؛ في رمضانَ وغيرِه؛ ألا وهو (أعمال القلوب في مجالس رمضان).

كما أسألُه -جلَّ وعلا- أن يكونَ هذا الكتابَ خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعَ به كاتبَه وشيخي عبد الرحمن بن ناصر البراك، وقارئه.

وما كان صواب فمن الله -جل جلاله- وحده؛ فله الحمد والشكر، وما كان من خطإ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العلي العظيم وأتوب إليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جدول المحتويات

المقدمة ٣

المجلس الأول أهمية أعمال القلوب في حياة المسلم «١» ٥
المجلس الثاني أهمية أعمال القلوب في حياة المسلم «٢» ٨
المجلس الثالث التأهب والتهيؤ لشهر رمضان المبارك «١» ١١
المجلس الرابع التأهب والتهيؤ لشهر رمضان المبارك «٢» ١٤
المجلس الخامس التوبة «١» ١٦
المجلس السادس التوبة «٢» ٢٠
المجلس السابع الإخلاص ٢٤
المجلس الثامن الصدق مع الله جل جلاله ٢٨
المجلس التاسع حسن الظن بالله جل جلاله «١» ٣٢
المجلس العاشر حسن الظن بالله جل جلاله «٢» ٣٦
المجلس الحادي عشر الخشوع في الصلاة «١» ٣٩
المجلس الثاني عشر الخشوع في الصلاة «٢» ٤٢
المجلس الثالث عشر عظمة القرآن الكريم ٤٤
المجلس الرابع عشر تفسير سورة الفاتحة وتدبرها «١» ٤٨
المجلس الخامس عشر تفسير سورة الفاتحة وتدبرها «٢» ٥٢
المجلس السادس عشر فسير سورة الفاتحة وتدبرها «٣»
المجلس السابع عشر محبة الله -جل جلاله- والشوق إليه «١» ٥٨
المجلس الثامن عشر حبة الله -جل جلاله- والشوق إليه «٢» ٦٢
المجلس التاسع عشر محبة النبي ﷺ «١» ٦٦
المجلس العشرون محبة النبي ﷺ «٢» ٦٩
المجلس الحادي والعشرون الخوف من الله جل جلاله «١» ٧٣
المجلس الثاني والعشرون الخوف من الله جل جلاله «٢» ٧٦
المجلس الثالث والعشرون الرجاء «١» ٧٩
المجلس الرابع والعشرون الرجاء «٢» ٨٣
المجلس الخامس والعشرون تعظيم الله جل جلاله «١» ٨٦
المجلس السادس والعشرون تعظيم الله جل جلاله «٢» ٩١

المجلس السابع والعشرون الافتقار إلى الله جل جلاله «١» ٩٥
المجلس الثامن والعشرون الافتقار إلى الله جل جلاله «٢» ٩٩
المجلس التاسع والعشرون التضرع إلى الله جل جلاله «١» ١٠٢
المجلس الثلاثون التضرع إلى الله جل جلاله «٢» ١٠٥
الخاتمة ١١١
جدول المحتويات ١١٢